8me Année No. 346

Lundi - 19 - 2 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة « القاهرة في يوم الاثنين ١١ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٤٠ » العـــدد ٣٤٦

الفهـــرس

الربيع الأحمر !

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع المقبل كما يتصوره الشاعر ! لا يزال الربيع جنيناً في بطن الأرض ، وإن الطبيعة لتهيئ لجذوره وبذوره الغذاء المريء والكساء الوضيء من دماء البشر ! سيولد ولادة الملوك على حشد الجنود وخفق البنود وقصف المدافع ؛ وسيدرُج في غلائله الأرجوانية الموشاة على نجوات القنابل وأخاديدها ، فيبذر الحياة في الموت ، وينشر الجمال على القبح ، وينثر أزهاره الغضّة على جثث وقبور ! ويومئذ لا تدرى وأنت ترى غيم الدخان وبرق النيران ، وتسمع صفير الرصاص ورعد القذائف ، أنحن في ربيع ابريل أم في شتاء يناير ؟

على أن الشتاء كان على الناس سلاماً وبركة ! خمدت على جليده لظى الحرب ، وجمدت في ثلوجه مخالب الموت ، واستطاع بفضله الهر الفنلندى الضئيل أن ينشب أظفاره في حشا الدب الروسى الهائل ؛ ولكن الربيع الذى جعله الله نشوراً للحياة ومعاداً للشباب ومبعثاً للحب ، سيمين لؤم الإنسان بدفء نسيمه وصفاء جوه ، على أن يجعل الأرض لنفسه مجزرة ومقبرة !

***

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع الذى لا يخلقه الله وإنما يخلقه الإنسان ! سيخلقه من الذهب واللهب والدم ، فيجعل من

الجداول خنادق ومن الأغصان بنادق ومن الأدواح مدافع؛ وإذن تصبح الأعشاش الناعمة المغردة المطارة مثابة بؤس ومناحة شباب ومستودع غاز!

سيعود ربيع الله الأخضرُ بطيوره وزهوره ونوره وسروره إلى الجنة، وسيستعير الإنسان مادة ربيعه الدامي من جهنم، فينبت في كل بقعة من بقاع الأرض آجام من شجر الزقوم الباسق الأنف، تئز في آفاقها الطوائر، وتمج في أجوافها المدافع، وتدب في مدارجها الدبابات، وتهب في مجاريها السموم، وتردد فيها أناشيد السلام وأغاريد الغزل أنات وصرخات تذوب لهولها الهائل قلوب الشياطين!

تبصّروا أيها السادرون من ساسة الشعوب، أهذا هو الربيع الريان الذي جعله الله جدة للحياة ومتعة للحي، أم هو الخريف الميت أحرقته الحرب باللهب، وكفنته بالنجيع، وأخذت عواصفها الرُّعن تكسح الأرواح الساقطة قبل الأوان لتقذف بها في هوى العدم؟ لمَ تستعجلون أمر الله، وتستقدمون يوم القارعة، وتحاولون أن تدكوا الأرض، وتشقوا السماء، وتذروا الكون الذي عمرته القرون وحضّرته الأمم كمعبد (داجون) أنقاضاً على شمشون وأعدائه؟

هيهات أن تصيخ اليوم لنداء السلم أذن! لقد جمح الهوى بالعقل جموح الفرس الشموس، فلا هو يسمع الصوت المهيب، ولا هو يطيع اللجام الكابح!

تلك مشيئة الله، وما تشاءون إلا أن يشاء. ولعله، عزت حكمته، يريد من هذه القيامة العاجلة أن يحيى الناسَ حياة أخرى على نمط من الهداية جديد

* * *

الربيع الأحمر! ذلك هو الربيع الخلاق الذي يهز الأرض هزاً فتربو وتنبت! سيهزها هزَّ العافية ليسقط الذاوي وينتعش الهامد. والحرب تشذيب لغرس الله تقوى عليه الغصون ويزكو بعده الثمر. وآفة الحرب أنها تودى بالصالح للحياة وتُبقى على الصالح للموت؛ ولكنها كالسيل الأتي يجرف تياره الجَنِيَّ واليابس، ويغرق طغيانه العاصر والغامر؛ فإذا انقطعت روافده وجفت مجاريه عادت الأرض به أخصب تربة وأوفر غلة

مرحباً بالحرب إذا لم يكن من خوض غمارها بد. إنها تقطع الفضول وتنفي الخبَث وتذيب الغش وتذهب الوهن. ولعلنا أحوج الأمم إلى طهور الحرب يرحض عنا رخاوة الذلة واستكانة الرق! فقد غبرت على وجوهنا قرون من التبعية المستسلمة لو مرت على الضوارى لطمست في جباهها معارف الجرأة، وأماتت في نفوسها معاني الافتراس. كنا نعيش في ظلال المتبوع عيش الأمان والغفلة، لا نعرف الحدود إلا على الورق، ولا نشهد الحروب إلا في السينما، ولا ندرك معنى الدفاع عن النفس في وجود الحامي إلا كما تدركه الزوجة المرفهة في وجود زوجها، والولد المدلّل في حضرة أبيه، حتى فشا فينا الجبن، وغلب علينا التواكل، وقعد بنا الرضى، فتركنا ثروتنا للغريب، ووكلنا حمايتنا للحليف، وفرغنا للتنافس في الهزل، والتراشق بالتهم، والتسابق إلى النيابة أو الحكم من غير كفاية ولا غاية!

* * *

الربيع الأحمر! ذلك هو الربيع الجبار الذي يأكل غثاء الخريف وحطام الشتاء ليحيلهما في جوفه الناري غذاء لشجره ونماء لثمره!

هو وحده الذي يستطيع أن يقتطع الحطب، ويقتلع العليق، ويُنبت على الجذور البالية خِلقة نامية زاكية تهيئ الروض الهامد للنضارة والطهارة والإنتاج والبركة

إن روضنا يا ربيع هشيم وخشب! فأحيه بالماء أو بالدم، وعالجه بالغذاء أو بالسم، فقد استعصى يا ربيع علاجه على النيل، ولا بد أن يضحّى بجيل في سبيل جيل!

احمد حسن الزيات

إلى وزارة المعارف

معـــــارف مصر
فى حولية المعارف الأممية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

حمل البريد إلىَّ قبل يومين الحولية التى نشرها مكتب التربية الأممى، عن « التربية والتعليم فى جميع أنحاء العالم خلال سنة ١٩٣٩ »

فلما أخذت أقلب صحائفها لألم بها إلماماً إجمالياً - استعداداً لدرسها درساً تفصيلياً فيما بعد - كان بعض الفصول يستوقف نظرى قبل غيره أو أكثر من غيره؛ وكان الفصل الخاص بمصر (ص ١٨٠ إلى ٢٠١) من جملة تلك الفصول بطبيعة الحال

وما كدت ألقى نظرة سريعة على الصفحتين الأوليين من هذا الفصل، وأستعرض الأرقام الإحصائية المدرجة فيهما، حتى وقفت على ما يثير الضحك والألم فى وقت واحد...

يفهم من هذه الإحصائية أن مدارس الأطفال فى مصر تربى ٢٤٤٨ طفلاً، والمدارس الابتدائية الأميرية تعلّم ٢٩٧٧٥ تلميذاً، والمدارس الابتدائية الخصوصية تُجلس على كراسيها ٥٣٤٨٩ من التلاميذ؛ وهذا هو كل ما فى مصر من مدارس خاصة بتعليم الأطفال - قبل بلوغهم سن الدراسة الثانوية - حسب ما يظهر من هذه الإحصائية ...

لو لم أكن أعرف حالة المدارس المصرية معرفة سابقة، وكان عرفانى بها مستنداً إلى هذه الإحصائية وحدها، لقلت حالاً: ما أتعس مصر وما أشقى أطفالها ...

لأن هذه الأرقام تدل على تأخر فظيع، لا بالنسبة إلى الأمم الأوربية والأمريكية فحسب، بل بالنسبة إلى الأمم الشرقية نفسها. وليس هذا التأخر بالكمية النسبية فحسب، بل بالكمية المطلقة أيضاً ... فإن العراق، يسبق مصر فى هذا المضمار بمراحل عديدة. وأما إيران فتسبقها بعشرات المراحل نظراً إلى هذه الأرقام ...

فإن عدد طلاب المدارس الابتدائية الأميرية فى العراق يناهز ثلاثة أمثال طلاب تلك المدارس فى مصر، مع أن عدد نفوس العراق لا يبلغ ثلث نفوس مصر ... وأما عدد طلاب المدارس الابتدائية فى إيران فلا يقل عن ثمانية أمثال طلاب مصر، مع أن عدد نفوسها أقل من نفوس مصر على كل حال ...

ولا مجال للشك فى أن كل من يراجع الحولية الأممية المذكورة من الأوربيين والأمريكيين سيلاحظ هذه الملاحظة، وسيقول: ما أفظع هذا التأخر المؤلم فى بلاد غنية مثل مصر، فى شعب عريق فى الحضارة مثل المصريين!

* * *

قد يقول بعض من يقرأون هذه الأسطر: لا بد من أن يكون هناك خطأ فى الأرقام ... ولا يستبعد أن يكون هذا الخطأ متأتياً من نقص المعلومات التى جمعها مكتب التربية الأممى عن المدارس المصرية ...

غير أن هناك ما ينفى هذا الاحتمال نفياً باتاً: لأن الفصل الذى يرافق إحصائية المعارف فى مصر لسنة ١٩٣٩ تقرير رسمى رفعه مندوب الحكومة المصرية الدكتور محمود فهمى - كما هو مصرح به فى أسفل الصفحة ١٨١ من الحولية - فلا يحق لأحد إذن أن يشك فى صحة الأرقام المدرجة هناك ...

ومع كل هذا، فأنا أعرف أن النتيجة التى يصل إليها الباحث - من هذه الأرقام - لا توافق الحقائق الراهنة بوجه من الوجوه ... أنا أعرف أن هذا المظهر الغريب الذى تظهر به معارف مصر - فى مثل هذه الإحصائيات - يعود إلى سبب مهم، كنت قد وجهت إليه الأنظار - على صفحات الرسالة - قبل نحو ثلاث سنوات ...

إن نظم التعليم المرعية فى مصر لا تفهم من تعبير « المدرسة الابتدائية » ما يفهمه رجال التربية والتعليم وغيرهم فى جميع أنحاء العالم. فإن المدرسة الابتدائية فى مصر، مدرسة من نوع خاص، وهى غريبة شاذة من وجوه عديدة ...

لقد انتقدت أوضاع هذه المدارس بشدة فى المقالة التى

الى الدكتور طه حسين بك

تشريح عاطفة الحب

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

سألتني يوم لقيتك بوزارة المعارف في صباح اليوم الثامن من هذا الشهر عن سبب اهتمامي بالحديث عن الحب ، وقد جرى ذكر كتاب « ليلى المريضة في العراق » ، وكانت الابتسامة التي شعّ ضوءها في ملامح وجهك ، تحمل معنى التعجب من أن تسمح الدنيا بأن أعيش بقلب المحب المتيّم المتبول !

فأجبتك بأن شواغلي في الحياة قد تجعل الحب آخر ما يشغل قلبي . ولكن حديثي عن الحب صار مذهباً أدبيًّا أشرح به ما يتعرض له الناس في ميادين النوازع والأهواء ، وأنا أريد أن أخلق جوًّا من البشاشة أدفع به ظلمات الزمان !

فابتسمت ابتسامةً لها معنًى وقلت : اخلق البشاشة في الزمن إن استطعت !

ثم خضنا بعد ذلك في شجون من الأحاديث سأرجع إليها بالتدوين بعد حين ...

ويهمني اليوم أن أشرح ما كان يجب أن أقول في جواب سؤالك لو رأيتك منشرح الصدر لا تشكو تدخّل بعض الناس في شؤون قد يجهلونها كل الجهل ، أو يتحمسون لها بعقيدة مدخولة وإيمان مصنوع .

ونحن لم نبتكر الكلام عن الحب ، فهو عاطفة عرفتها الأرواح منذ أقدم عهود الوجود . وما قيمة الدنيا إذا خلت من الحب ؟ ولأيّ غرض يحيا الناس إذا أصيبت أفئدتهم بالاعتلال فلم تحسّ ذلك الروح اللطيف ؟

وهل ينصرف القلب عن الحب وهو في عافية ؟

إن المتوقرين والمتزمتين يتوهمون أنهم وجدوا الحجج الدوامغ حين استطاعوا أن يقولوا : إن الدنيا في حرب ، وإن الظروف لا تسمح بالحديث عن الحب !

وأقول : إن ما هتفوا به لم يصدر إلا عن صدور مِراض ، فالحب لا يغزو إلا قلوب الأصحاء ، وهو يساور قلوب الجنود في أصعب أوقات الحروب . وهل كان عنترة بن شدّاد ماجناً حين قال :

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ ... مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

وما هتف به عنترة هتف به ضابطٌ مصريٌّ سمحت له لجنة الأناشيد العسكرية بأن يقول :

مين زيّك عندي يا خضره ... في الرقه يا غصن البان
ما تجـــودي عليّ بنظره ... وانا رايح عَ الميـدان

وهذا الضابط اسمه عبد المنصف محمود ، ولا أعرف كيف اهتدى إلى هذه الفكرة الطريفة وهو يعيش في زمن مثقل بآصار التصنع والرياء

لقد قيل إن هذا نشيد لا يصلُح للجنود وهم يتأهبون للقتال

وأقول إن هذا النشيد من شواهد العافية ، فلكل جنديّ في الجيش أوطار روحية يحن إليها حنين الأصحّاء ، وتلك الأوطار الروحية هي الحافز الأعظم للاستبسال في ميادين الشرف والوطنية . والجنديُّ الفارغ القلب من عاطفة الحب لا يصلح أبداً للاستشهاد في سبيل الوطن الغالي ، لأن الوطن لا يغلو إلا في صدور أرباب القلوب

نشرتُها في العدد ١٨٧ من الرسالة - بتاريخ أول فبراير سنة ١٩٣٧ - وبعنوان « نقد نظام التعليم في مصر » ، وشرحت المحذورات الجوهرية التي تتأتى من الاستمرار على تلك النظم ...

وما كنت أتصور عندئذ أن كل شيء سيبقى على حاله وسيؤول إلى ظهور مصر بهذا المظهر الغريب في الحولية الأممية بعد ثلاث سنوات ...

(بغداد) أبو خلدون

* * *

حاشية : إن المقارنة بين الأرقام المدرجة في حولية ١٩٣٩ وبين المدرجة في حولية ١٩٣٨ — في القسم الخاص بمصر من جهة، وفي القسم الاجمالي العام من جهة أخرى — ولا سيما في الأرقام المتعلقة برواتب المعلمين والمعلمات وعدد دور المعلمين ودور المعلمات — أدتني إلى ملاحظة عدة أمور غريبة ؛ لم أر لزوماً لشرحها هنا ؛ بل آثرت الاكتفاء بتوجيه أنظار المختصين والمسؤولين إليها ...

وأنا أنتظر أن يســود ذلك النشيد على سائر الأناشيد ، فقد هتف به جنديٌّ سليم الجسد والروح ، وهو أفضل من الأناشيد التي ينظمها شعراء لم يعرفوا الفرق بين السيف والرمح ، ولم يسمعوا صوت المدفع إلا في ليالي رمضان !

من الفضول أن أحدثك عن أهمية الحب ، ولك فيه تاريخ ، ولكني أحب أن أعرف كيف يندر أن نجد بين كتابنا من يهتم بتشريح عاطفة الحب ؟ وكيف يرانا من سيدرسون آثارنا الأدبية بعد جيل أو أجيال حين يظهر لهم أننا كنا نحسب الحديث عن الحب فنًّا من فنون المزاح ؟

الحب جِدُّه جِدّ ، وهزله جِدّ ، ولا يتجاهل هذه العاطفة إلا الغافلون عن تأثيرها الحسن أو السيء في تلوين الوجود

الحبُّ جِدٌّ صُراح ، والاهتمام بدرسه يؤدي خدمات عظيمة لعلم النفس ، فكيف نسكت عن درسه وهو يواجه الناس في جميع الميادين ؟ كيف نسكت عن درسه وله قدرة قاهرة على الضر والنفع ، وله تأثير شديد في توجيه مصاير الرجال ؟

وبأي حق يخلو أدبنا من تشريح عاطفة الحب ؟

وكيف يجوز أن يقهرني العيش في عصر التزمت على الدفاع عن كتاب « ليلى المريضة في العراق » وهو كتابٌ أردت به خلق الحيوية الأدبية بين أبناء هذا الجيل ؟

إن التوقر الذي يصطنعه بعض الناس قضى على عصرنا بالحرمان من البشاشة والأريحية وقطع ما بيننا وبين ماضينا المجيد يوم كان لنا شعراء لا يهتفون بغير أوطار القلوب

وأين نحن من العصر الذي عاش فيه عمر بن أبي ربيعة ، أو العصر الذي عاش فيه العباس بن الأحنف ، أو العصر الذي عاش فيه الشريف الرضي ؟

وهل يمكن القول بأن الحاسة الدينية في هذا العصر تفوق الحاسة الدينية في أعصر أولئك الشعراء ؟

لا يمكن القول بذلك ، فنحن بشهادة رجال الدين أقلُّ حرصاً على الواجبات الدينية من الرجال الذين عاصرهم أولئك الشعراء ، والله يغفر لي ولك ولسائر أهل هذا الجيل !

الفرق بيننا وبين أسلافنا لا يحتاج إلى توضيح

كان أسلافنا أصحاء ، فكانت عصورهم تجمع بين أشرف صنوف الهداية وأعنف ضروب الضلال ، وكان الرجل الديّان لا يتورع عن رواية أظرف قصائد الغزَل والتشبيب ، وكان هناك توازن بين حقوق القلوب وحقوق العقول ، فكانت الحياة أشبه بالحديقة الغنية التي تجمع في شِعابها بين حياض الأزهار والرياحين ومسارب الأفاعي والصِّلال

وأين نحن اليوم من أولئك الأسلاف ؟

في مساجدهم رُويت طرائف الأشعار ، ونوقشت مذاهب الزيغ بلا تحامل ولا إسراف ، وفي بيوت أتقيائهم دُوِّنت أوهام القلوب والعقول ، وعلى ألسنة أصفيائهم جرت أحاديث الشك والارتياب ، وبفضل ذوقهم الأدبي والفني عاشت أضاليل لهاصلات بحيوات الآداب والفنون

أما عصرنا الذي أعرف وتعرف فهو عصر الرسوم والأشكال ، وأخشى أن يمر بلا أثر ملحوظ في خدمة العقل والقلب والذوق

وإلا فأين الرجل الصالح الذي يقهرك روحه على التزام حدود الدين ؟

وأين المفكر الذي يقهرك إخلاصه للفكر على التزام حدود العقل ؟

وأين الأديب الذي يحدثك عن نفسه فتشعر بأنه صادق كل الصدق ؟

ومن أجل هذه الرخاوة الفكرية والأدبية والدينية فترتْ حماسة الناس للفكر والأدب والدين ، وأصبحت القلوب في مثل حال الشراب المقتول

وهنا أجد الجواب عن سؤالك ، أيها الأستاذ الجليل

فأنا أتحدث عن الحب بصفة جدية ، وأتعقب أخباره وآثاره في كل ما أرى وما أسمع ، وآية ذلك أني لم أنته ولم أنزجر بعد أن رأيت غضبتك في جريدة السياسة يوم ظهر كتاب « مدامع العشاق » وقد قلت إنه يحرض على الشهوات ، سامحك الله وغفر لك !

وأنا أجِدُّ في كل شيء ، أجد في الصداقة والعداوة ، وأجد في الشك واليقين ، وليس أمامي مجال للمزاح ، وكيف يتسع وقتي للمزاح وما قضيت يوماً خالياً من الشقاء بالدنيا والناس ؟

فما أرضاك عني فهو حق ، وما نفَّرك مني فهو حق ، وما خصصتك بغضبي ورضاي إلا لأني أعرف أنك تعاقر من فرح الحياة وحزن الحياة بعض ما أعاني . وأنا موقن بأنك تفهم عني

ما أريد ، لأنك تعرف من سريرتي ما لا يعرف سواك

فما رأيك في الحب ؟

ألا ترى أنه عاطفة تستحق أن نتأثرها في جميع المسالك ؟

وإذا سكتنا عن تشريح عاطفة الحب فمن يتحدث عنها ونحن ندّعي النيابة عن الجمهور في تشريح النوازع والأهواء ؟

وهل يرضيك أن نصير إلى ما صار إليه مَن يختارون المحفوظات لتلاميذ المدارس ، وقد تحاشوا جميع الأشعار التي تفصح عن أوطار القلوب

لو كان جميع المعاصرين من « العارفين بالله » لخفّ الأمر وهان ، ولكن معاصرينا من الأساتذة يسمعون حديث الحب من المذياع ، ويرون آثاره على الشاشة البيضاء ، وفيهم من يتمنى لو سارت أشعاره بين أغاريد أم كلثوم وعبد الوهاب !

يجب أن تعرف أني أخاطب الدكتور طه حسين الذي نقل أروع أحاديث الحب عن أهل الغرب ، والذي يحاول أن يطبع الجمهور المصري على تذوق الموسيقا الأوربية ، لأنها في رأيه من أصلح الأدوات للتعبير عن العواطف والأهواء

والأوربيون الذين تعرفهم لا يرون الحب من المزاح ، وإنما يرونه عاطفة أصيلة تنقل القلب من مكان إلى مكان ، وتسبغ عليه أثواب الصحة والعافية ، وتشريحُ عاطفة الحب هو عندي باب لتربية العواطف

تربية العواطف ؟

أعوذ بالله من الجهل بأخلاق زماني ومن التعرض لسفاهة الأقاويل وشناعة الأراجيف !

نعم ، أنا أدعو إلى الاهتمام بتربية العواطف ، وليقل من شاء ما شاء

كل شيء في بلادنا موضع اهتمام إلا العواطف ، وإهمالُ العواطف ستكون له آثام أيسرُها رياضة الشبان على رذيلة « عدم الاكتراث » وهي أقبح الرذائل وأشدُّها تأثيراً في قتل حيوية الشعوب

وهل تستطيع القول بأن الرأي العامّ عندنا يحس هذه المعاني ؟

وما الرأي العامّ ؟ أليس صدًى لآراء الباحثين والمدرسين وهم عندنا قومٌ هيّابون خوّافون يرون الحديث عن العواطف من فضول القول ؟

وخمود العواطف هو الذي قتل الشاعرية في مصر ، وهو الذي جعل المصريين أقل الناس إحساساً بمعاني الوجود ، وإلا فحدثني عما أقيم على شواطئ النيل من ملاعب ، وما أقيم فوق عبابه من سهرات يغنّى فيها الشعر ويرقص الخيال ؟

هل عندك نبأ عن حدائق القناطر الخيرية ؟ وهل سمعت أن إحساس المصريين بالحياة حمل بعض الشركات على أن تنشئ فندقاً هناك ؟ ولمن تقام الفنادق في تلك الضاحية السحرية وليس فينا رجل يشوقه قضاء الليل وهو يسمع هدير النيل في شهر آب ؟

وهل عندك نبأ عن حديقة الأزبكية ؟

ألم تسمع أن حديقة الأزبكية ليس فيها مكان تشرب فيه فنجاناً من القهوة أو الشاي إذا بدا لك أن تقضي فيها ساعة أو ساعتين لمحاسبة نفسك أو مداعبة خيالك ؟

ويتحدث الناس في هذه الأيام عن بحيرة قارون بمناسبة زيارة جلالة الملك لإقليم الفيوم ، فهل تعرف أنه لا يمكن قضاء ليلة بجوار تلك البحيرة إلا في فندق أقامه هناك أحد الألمان ؟

وهل سمعت أو سمع أحد من أصحابك أن شاعراً مصرياً قضى ليلة أو بعض ليلة وهو يداعب سمكات تلك البحيرة ؟

وما رأيك في (بحيرة التمساح) ؟

هل سمعت لها خبراً في قصيدة أو رسالة أو كتاب لأديب من أهل هذه البلاد ؟

وهل خطر لك أن تقضي ليلة بجوار تلك البحيرة عساك تعرف شيئاً من أخبار مدينة الاسماعيلية ؟

ولا موجب لتذكيرك بالأقصر وأسوان : فالناس جميعاً يعرفون أن الأجانب هم الذين تشوقهم تلك المغاني ، وإليهم يرجع الفضل في إقامة أسواق الحياة بتلك المناسك ، على أيامها ولياليها أطيب التحية وأزكى السلام !

ومالي أبعد بك فأنقلك إلى تلك البقاع النائية ؟

هل اتفق لك أن تُلقي درساً من دروسك بين الأشجار التي تحدق بكلية الآداب ؟

وهل فكر أستاذنا لطفي باشا في محادثة طلبة الجامعة عن أرسطاطاليس تحت الدوح كما كان يصنع فلاسفة اليونان ؟

ذلك يشهد بأن إحساسنا بالحياة يكاد يكون في حكم المفقود ، فما رأيك في الدعوة إلى الطب لهذا المرض العضال ؟

وكيف نطبّ لهذا المرض ونحن نرى الحـديث عن الحب ضرباً من المزاح ؟

كيف وقد تهيبت تقديم كتاب « ليلى المريضة فى العراق » إلى محررى الجرائد المصرية لئلا أقرأ لأحدهم كلمة تؤذينى بلا موجب معقول ؟

وما رأيكَ إذا حدثتك بأنى عجزتُ فى مصر عن بعض ما قدرت عليه فى العراق ؟

كنت أحب أن أؤلف كتاباً عن « ليلى المريضة فى الزمالك » أفصل به أسرار المجتمع وسرائر القلوب فى هذه البلاد بطريقة روائية تفيض على شبابنا روحاً من أرواح الوجدان ، ولكنى خشيت ملامة الفارغين من أشباه الأدباء

فهل أرجو أن يصرّ قلمك بما تهيّب منه قلمى ؟

لقد وضعت لك الخطة بكتاب « ليلى المريضة فى العراق » فأرنى كيف تصنع وكيف تصوّر عصرك وزمانك كما صوّرتُ عصرى وزمانى . نحن نريد أن نشغل الناس بأخلاقهم وأذواقهم وأوهامهم ، نريد أن نسيطر عليهم بالأدب والعقل بعد أن سيطر عليهم السياسيون بالمناوشات الحزبية والسياسية

فهل أنت مستعد لاقتحام هذا الميدان ؟

نحن نفكر فى خلق عصبية أدبية تعلو على العصبية الحزبية

ولن نصل إلى ذلك إلا يوم يؤمن الجمهور بأن الأدب هو الترجمان الصادق لشهوات العقول ، وللعقول شهوات أعنف وأخطر من شهوات الأحاسيس، وتثقيف الشهوات العقلية يصل بنا إلى منازل الحكماء ، ويطمعنا فى الخلود

ليتنى أستطيع مصارحتك بكل ما أريد فى خلق الحيوية الأدبية والفنية !

وكيف أستطيع وأنت كثير التلوّم والتعتّب ، ولا يصل إليك الرأى الصريح إلا مشوباً بتهمة التحامل عليك ؟

أنت على كل حال من ذخائرنا الأدبية ، وأنا أقبلك على علاتك كما تَقبلنى على علاتى

فهل يكون من الفضول أن أصارحك بأنك لا تُقبِل على حياة الوجدان إلا وأنت خائف ، مع أنك قوىّ العبارة فى الإفصاح عن وساوس نفسك ، ونوازع قلبك ؟

وما خوفُك وقد استقام لك أمر مصيرك الأدبى وصار اسمك من أظهر الأسماء ؟

ما خوفُك من الاعتراف بأن عاطفة الحب تستحق التشريح ؟

وما الذى يدعوك إلى الاحتراس حين أقترح عليك تأليف كتاب عما أحس شعراء العرب من النوازع الوجدانية ؟

أتخاف أهل الجمود ؟

إطمئن ، يا سيدى الدكتور ، فهم فى شغل عنا بمصايرهم الدنيوية ، ولن يفرُغوا لنا إلا بعد أن نفرُغ من إعلام الناس بما نريد من شرح أوهام العقول والقلوب

أما بعد فأنا أعلن عتبى عليك ، لأنك ابتسمت ابتسامة فيها طيفٌ من الاعتراض على اهتمامى بتشريح عاطفة الحب ، وأصارحك بأن هذا مذهبٌ أدبىٌ سأحرص عليه ما دمت أملك القدرة على تشريح العواطف والأحاسيس

فافتح قلبك ، يا سيدى الدكتور ، لوحى الحياة والحب ، واعلم أن الابتسام الصادق هو أثمن ما يملك الرجال

وقد شاءت المقادير أن أستطيع مقابلتك فى كل يوم بعد أن صرت معنا فى وزارة المعارف ، وسأحوّلك إلى حزبنا ، حزب الأخوّة الأدبية الذى يرى أقطار العربية جسماً واحداً إذا شكا منه عضو أسعدته سائر الأعضاء بالسهر والأنين

وستُريك الأيام بعد قليل أن الميزان الذى كنت احتكمت إليه فى تقدير العداوات والصداقات لم يكن أدق الموازين ... والله المسئول أن يديم عليك عافية القلب وشباب الروح .

زكى مبارك

الحق والقـــوة (*)

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب

فى هذا الجو المملوء بالآلام والويلات ، وفى هذه الساعات الرهيبة التى ينبض لها قلب العالم هلماً وجزعاً من مأساة لا يعلم مداها، وتطاحن لا يستطيع أن يقدر نتائجه ؛ فى هذه اللحظات التى يعتدى فيها الأقوياء على الضعفاء ويطغى المسلحون على العزّل الأبرياء ، وفى هذه الأيام التى خفتت فيها موسيقى السلم ذات الألحان الشجية والنغمات الحلوة وحلت محلها نواقيس الحرب ذات الأصوات المدوية ؛ بل وفى هذه الأعياد السنوية التى كان يقدسها قديماً الهمجيون أكثر مما يقدسها اليوم المتحضرون، والتى كان يلتى فيها الأسلحة المتحاربون ؛ فى هذه الظروف كلها رأيت من الخير أن أتحدث عن فكرة الحق والقوة

وإذا ما تحدثت عن هذه الفكرة فإنما أعرض لمشكلة الرئيسية بين مشاكل الفلسفة السياسية منذ أفلاطون إلى اليوم، فهى مشكلة الماضى والحاضر ، ويخيل إلى أنها ستبقى مشكلة المستقبل إلى النهاية . وكأنى بالحق والقوة ضدين لا يجتمعان وعدوين لا يتهادنان ، يقدر لأحدهما الغلب ثم لا يلبث الآخر أن يعدو عليه وينتزع منه سلطته ، وما تنازعهما إلا صراع بين الروحية والمادية ، بين المثالية والواقعية ، بين الإنسانية والوحشية ، بين الحضارة والهمجية . ولن أكون فى حديثى هذا المشرّع الذى يعنى بالقوانين وصوغها وبيان ما فيها من عقوبات وقصاص تحول دون عدوان المعتدين وظلم الظالمين ، ولا السياسى الذى يقدم الحلول المختلفة لمشاكل الدولية العامة . وإنما سأعرض لموضوع الحق والقوة من ناحيته الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية ، فأبين كيف نشأت الفكرتان وكيف تطورتا وماذا كان لهما من أثر فى حياة المجتمع ، ثم أشير إلى أوجه التقابل بينهما وموقف الفلاسفة والأخلاقيين منهما

(*) محاضرة ألقيت بالجمعية الجغرافية فى مساء الثلاثاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٩

ليس من السهل أن نحدد بالدقة كيف اتجه الإنسان الأول نحو فكرة القوة ، أقاده إليها حسه وبصره وسمعه ولمسه ؟ أم هداه إليها شعوره وقلبه وعزمه وإرادته ؟ وبعبارة أخرى هل تبينا القوة لأول مرة فى أنفسنا أو فى الظواهر الطبيعية المحيطة بنا ؟ وهل هى من أصل سيكولوجى أو من مصدر طبيعى ؟ وهل هى وليدة العالم الداخلى أو الخارجى؟ وأغلب الظن أنها نتيجة هذين الجانبين وثمرة هذين المؤثرين، فأدركنا القوى الطبيعية وقوتنا الإنسانية فى الوقت الذى اصطدمت فيه الطبيعة بنا واصطدمنا بها . وكيفما كان أمر هذه النشأة فإن الإنسان سلم من قديم بوجود قوى فى الكون متعددة : طبيعية وإنسانية ، مادية وروحية ، ظاهرة وخفية ، سماوية وأرضية . فإذا ما سألته عن حقيقة هذه القوى عز عليه كشفها وصعب عليه تحديدها، وجُلُّ ما تحظى به منه أن يعرفها بآثارها ويتمرفها بنتائجها ، فيقول إنها ما يتم به التغير

بيد أنه على الرغم من كل هذا لم يتردد الفلاسفة والاجتماعيون فى أن يبينوا هذه الفكرة الغامضة فى نشأتها والخفية فى مدلولها ، وكان لا بد لهم أن يفعلوا ما داموا يدرسون التغير وعلله ، إن فى عالم الطبيعة أو فى عالم الإنسان . فنرى الرواقيين فى التاريخ القديم ينتهون إلى مذهب ديناميكى شبيه بذلك المذهب الذى صعد به ليبنتز إلى القمة فى القرن السابع عشر . يتصورون أن العالم كائن حى مشتمل على النار والحرارة التى هى المبدأ الفعال والمؤثر فى المواد والأجسام المنفعلة ، ولا كيان للمادة إلا بواسطة ذلك « النفس الحار » (الأبنيا) الذى يضم أجزاءها ويدفعها إلى الحركة والتغير ، فقوة العالم كامنة فيه تسيره على نظام ثابت وتخضعه لقوانين معينة. وإن فكرة المادة والصورة التى قال بها أرسطو ولم يوضحها تمام التوضيح ولدت فى القرون الوسطى تلك القوى الخفية والخواص الكامنة التى هى مصدر التغيرات الكونية والأحداث الإنسانية ، وإن كان وراءها قوة عظمى ، هى قوة القوى وعلة العلل . وإذا كان لبيكون وديكارت رسالة جديدة فى التاريخ الحديث إزاء المسائل الطبيعية فهى أنهما حاولا محاربة الصفات الغامضة والصور الخفية التى رددها المدرسيون . على أن بيكون لم يسلم تماماً من آثار تلك الفلسفة المدرسية ، وبدا فى بحثه

التجريبي وكأنه ينقب عن أمور ذاتية وصفات أولية للأشياء هي سر تميزها وتغيرها ، وفكرة الحركة والتدافع التي ذهب إليها ديكارت ترد التغير في آخر تحليل إلى قوة وحيدة ، إلى الباري جل شأنه . ولعل هذا هو الذي قاد ليبنتز إلى نظرية « النقاد » والذرات الروحية ، فكان يتصور الأجسام كلها في صورة معنوية أبلغ مما ذهب إليه الرواقيون ، ويتوهم أنها مجموعة ذرات روحية فيها قدر من النشاط والإدراك يتفاوت على حسب مرتبتها ، وقد أبدعها ونسقها إله هو روح الأرواح ومناد المنادات ، وإذا كان مرجع التغير كله إلى الله فلم نبحث عن قوى وأسباب أخرى سواه ؟ والأجدر بنا أن نرد كل شيء إليه سواء أكان من الظواهر الطبيعية أو الأعمال الإنسانية . وهكذا رأى مالبرانش وباركلي أن يردا القوى الظاهرية كلها إلى الله ، وقررا أن ليس ثمة قوة في نظرهما غير تلك القوة الوحيدة

هذا هو شأن القوة فيما يتعلق بالظواهر الطبيعية ، وليس شأنها بأقل خطراً فيما يتعلق بالأحداث الإنسانية ، فقد دالت بسببها دول وقامت أخرى ، وذل جبابرة وعز آخرون . وللقوة في المجتمع مظاهر عدة : فهناك القوة المادية الجسمية ، وإلى جانبها القوة الصناعية والإنتاجية ، ثم قوة المال والفكر والعبقرية ، وأخيراً قوة العزيمة الماضية وإرادة الشعوب التي بدلت صفحات التاريخ . ولا نظننا في حاجة أن نلاحظ أنه إذا كانت قوة الأفراد والطغاة هي التي سادت العالم بالأمس فإن إرادة الشعوب حلت محلها ، بل كانت أحياناً أشد أثراً وأعظم إنتاجاً . ومن هذه القوة الشعبية تولدت الحركات الدستورية وبواسطتها تأيدت النهضات الاستقلالية ، وعنها صدرت قوة الطوائف والنقابات والأحزاب .

وإذا ما تتبعنا الفلاسفة السياسيين في مراحل التاريخ المختلفة ، وجدنا أنهم إنما حاولوا أن ينظموا القوى المتباينة أو عولوا على قوة دون سواها . فأفلاطون قديماً أخذ نفسه بالتوفيق بين قوى المجتمع المتباينة : بين حراس المدينة من جانب ، والمنتجين من صناع وزراع من جانب آخر ، والحكام والقضاة من جانب ثالث ؛ فأراد التوفيق في اختصار بين الشجاعة والمنفعة الذاتية والعقل . ومكيافيلي في عصر النهضة أو هوبس في أوائل التاريخ الحديث ، ونيتشه بين المعاصرين إنما ناصروا قوة الفرد وأيدوا الحكومة المستبدة ظناً منهم أنها الوسيلة الناجعة لحكم الجماهير . أما لوك وفولتير وروسو ، فقد اعتدوا بقوة الشعب كل الاعتداد ، ووضعوا دعائم النظم الدستورية والنيابية الحديثة . وإلى جانب هؤلاء وهؤلاء نجد جورج واشنطون ومازيني وسعد زغلول على رأس النهضات الاستقلالية ، كما نجد كارل ماركس يصور قوة اليد العاملة في أوضح صورها ، ويعلن حقوقها إزاء أصحاب رءوس الأموال .

في هذه النهضات على اختلافها والثورات على تنوعها ما يشهد بما للقوة من أثر في حياة المجتمع ، بل نستطيع أن نقول إن المجتمع الإنساني مجموعة قوى متعددة ، متعاونة أحياناً ومتعارضة أحياناً أخرى . وسعادة الأمة في أن توجه هذه القوى في وجهاتها الملائمة ، وأن تتضافر على غرض أسمى . وأي نظام اجتماعي لا ينمو ولا يطرد ، بل ولا يحيا ولا يثبت إلا إن كانت وراءه قوى مادية وروحية تغذيه وتعاونه .

(يتبع) ابراهيم مدكور

قابليات العناصر البشرية

للدكتور جواد علي

نشر الكاتب السياسي الفرنسي « كراف كوبينو » Graf Arthur Gobineau كتاباً في أربعة مجلدات ظهرت بين عامي ١٨٥٣ — ١٨٥٥ بعنوان « عدم مساواة العناصر البشرية » Essai sur L'inégalité des races humaines : فأثار على مؤلفه سخطاً شديداً ولا سيما من الهيئات الكاثوليكية وأنصار مبادئ الثورة الفرنسية ، كانت نتيجته طرد الرجل مراراً من السلك الدبلوماسي الذي كان ينتسب إليه .

وقد استقى كوبينو آراءه من مصدرين : مصدر التتبع والبحث الشخصي الذي قام به خلال تمثيله السياسي للحكومة الفرنسية في طهران والهند والبلقان ، ومصدر العلم الطبيعي الذي طغى إذ ذاك وتغلب على الطريقة القديمة باعتماده على التجارب والاختبارات . فقال باختلاف الأجناس وتباين العناصر البشرية كما هو الشأن في النباتات والحيوانات . وقد كانت هذه نظرية قال بها العالم الألماني الانترو بولوجي بلومنباخ Blumenbach (١٧٥٢ — ١٨٤٠) ، والعالم الفرنسي كوفيه Cuvier (١٧٦٩ — ١٨٣٢) . غير أنه زاد عليهما بنظريته في اختلاف القابليات البشرية والإنتاج المدني والثقافي ، فوصل إلى أن التاريخ البشري والحضارة البشرية نتيجة عقلية واحدة ، هي العقلية الآرية التي تشتمل الشعوب الأوربية والهندية الأوربية . ويخص من هذه الشعوب أيضاً الشعوب الجرمانية بأعلى القابليات في الاختراع والابتكار والسيادة والإرادة والزعامة في جميع نواحي الحياة[1] .

وكانت أول أرض أجابت هذه الدعوة هي الأرض الألمانية التي بدأت تنمو فيها الروح القومية ، وتظهر بأجلى مظاهرها ، ورسالة الفيلسوف الألماني نخته Fichte بعثت فكرة القوميات في أوربا وهيأت الجو ولا شك لمثل هذه الآراء . وكذلك فلسفة هيكل Hegel الذي قسم العالم إلى أدوار بدأ فيه بالدور الشرقي وانتهى بالدور الجرماني الذي هو في نظره خير الأدوار العالمية وأكملها . أضف إلى ذلك كتابات المؤرخ الألماني الشهير « ترايشكه » ، والكاتب الاجتماعي الوطني فردريش جان Friedrich Jahn وغيرهم ، والوحدة الألمانية التي قام بتأسيسها بسمارك ، وآراء نيتشه في القوة وتمجيده للحرب

ومن أشهر من تأثر بهذه النظرية الكاتب الإنكليزي الألماني H. St. Chamberlain شامبرلين ١٨٥٥ — ١٩٢٧ مؤسس الفلسفة النازية الأولى وأول فيلسوف يعتبره أتباع هتلر من بين صفوفهم . والرجل مع أنه انكليزي يختلف عقليته عن العقلية الألمانية ، تأثر بالمحيط الألماني وهجر وطنه وترك لغته وغدا ألمانيا يخلص لألمانيا ويدافع عنها ويطعن على الإنكليز وقساوتهم في معاملة الألمان في الحرب العظمى . اتخذ هذه النظرية قاعدة له في جميع أبحاثه ومقياساً يقيس به العالم طراً . وفي كتابه الشهير « أسس القرن التاسع عشر » الذي ظهر في سنة ١٨٩٩ Grundlagen des 19 Jahrhunderts يحمل أفكاره . وقد ترجم إلى لغات عديدة وطبع عشرات المرات

يرى في كتابه هذا أن الحضارة البشرية من أولها إلى آخرها نتيجة العمل الجرماني الآري . وكل حضارة ظهرت أو بقعة ازدهرت لا بد أن يكون للعنصر الآري ، وعلى الأخص الجرماني ، يد فيها . فهو في بحثه كالفاحص الكيمياوي يحاول تحليل الحضارات ليجد العنصر المسبب وهو العنصر الجرماني الذي خص من بين الشعوب بميزة هداية البشرية والقيادة العالمية . حتى الكتابة أو الأرقام يرى أصلها من الجرمان ومن الجرمان المحدرت إلى الشرق . وعلى ذلك ففكرة كونها شرقية خطأ لا يغتفر . وكذلك آراء العلماء في أن الحضارة أصلها من الشرق لا يرى لها مبرراً ولا دليلاً . والشعوب الأخرى كلها مقلدة لم تنتج من عندها شيئاً . والحضارة العربية التي يراها ظهرت صدفة كسائر الحضارات السامية إن جاز تسميتها حضارة هي صورة ظاهرية لعمل آري مكتوم[1]

أثر كتاب شامبرلين في الأوساط الألمانية أثراً كبيراً ولا سيما في الأوساط السياسية منها والأوساط الشعبية والوطنية المتطرفة ، إلى درجة جعلتها تعتقد أن هنالك مهمة واجبة تقع على عاتق ألمانيا الجرمانية ، وهي مهمة قيادة العالم وحق الإشراف عليه ، مهمة تكاد تكون سماوية . وتحدثنا بعض المصادر أن القيصر الألماني كان معجباً جداً بهذا الكتاب أيما إعجاب ولا سيما بعقيدة الزعامة الألمانية والتبشير

(١) انظر كتابه في اللغة الفرنسية وكذلك كتابه في اللغة الألمانية بعنوان Graf Arthur Gobinaeu, Die Ungleichheit der menschen-rassen 1935

(١) انظر كتاب Die Grumdlagen des Neumehnten Jahr-hunderts ج ١ ص ٤٤٩ مادة ٣٧٩

بالدين الجديد ، على أساس القوة والسيادة التي هي من صفات الجرمان ، وأن الكاتب هذا وكذلك الفيلسوف النمساوي الاجتماعي Othmar Spann كانا من أهم أبطال الدعوة إلى الحرب قبل دخول ألمانيا الحرب بحجة أن الحرب أساس كل حضارة ، ولإثبات أن العنصر الجرماني هو العنصر الفعال الذي تقع على عاتقه وحده أمور العالم وحقوق التصرف منذ آلاف السنين(١)

وفي سنة ١٨٩٤ أسست هنالك جمعية عرفت باسم « جمعية كوبينو » لتقوم بإتمام أبحاث هذا العالم . وقد رأس هذه الجمعية العالم ولتمان Woltmann الذي ألف كتاباً عن عصر النهضة في إيطاليا وأبى إلا أن يرجع أصل جميع علماء النهضة في إيطاليا وأبطالها إلى أصل جرماني شمالي . يعرف هذا الكتاب بعنوان Die Germanen und die Renaissance in Italien, 1905
أعقبت هذه الجمعية جمعية أخرى عرفت باسم : « جمعية العناية بالأبحاث العنصرية » ألفها ألفريد بلوتني Alfred Ploetny أخذت على عاتقها مهمة البحث العنصري على أسس طبيعية تجريبية لا على الطريقة التاريخية الفلسفية . فعادوا إلى طريقة بلومنباخ Blumenbach وهي الاستعانة بأشكال قحف الرأس في تقسيم العناصر البشرية، وهيئة الجسم وتكوينه، وتكوين علم خاص يتفرع من علم الأنتروبولوجي وهي الطريقة التي اتبعت اليوم في ألمانيا بعد سيطرة هتلر عليها وخضوع الجامعة لإرادة النازي وآرائه

راجت عقيدة العنصرية خلال الحرب وبعد الحرب ولا سيما بعد استيلاء اليهود على معظم الكراسي في ألمانيا وتشكيلها المجالس المحلية بعد ثورة شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ إذ حصلوا على أغلبية كراسي الحكم . وهذا ما روج دعوة أنصار العقيدة العنصرية ، إذ تحولت إلى دعاية وطنية غايتها تطهير ألمانيا من العناصر الأجنبية بإعادة الأخلاق الجرمانية القديمة، وهي السيادة والقوة، هذه المبادئ التي تنافي المبادئ الأوربية الغربية الديمقراطية التي حملتها الحرب إلى ألمانيا بطريق اليهودية الحاكمة على ألمانيا ومحاربة كل فكرة تدعو إلى المساواة بين الشعوب والقابليات على حد سواء(٢) . فظهر هنالك أساتذة وكتاب أمثال أدلف بارتلس Adolf Bartels و Rosenberg و Günther و Claus و Othmar Spann و Lenny و Scheidt وغيرهم استفادوا من الفرصة وحملوا على اليهودية والماسونية والشيوعية حملات شعواء موجهين نظر الألمان إلى هذه الناحية الحساسة لتمهيد الحكم للدولة الألمانية الثالثة وإعادة حلم الدولة الألمانية المقدسة

غير أن هنالك جماعة من الفلاسفة شعرت في نفس الوقت بتدهور ألمانيا ووجوب إعادة مجدها . غير أنها رأت تحقيق ذلك عن طريق آخر وهو طريق الثقافة واللغة بتحويل العناصر الغريبة والقوميات إلى عنصر ألماني واحد مستدلة على ذلك بأدلة أخرى ساخرة من قحف الرأس وتركيب الجسم مستدلة بالشعب الأمريكي الذي كوّن له قحف رأس جديد لا هو انكليزي ولا هو ألماني ولا هولندي ولا فرنسي، وباللغة التي يدافع عنها ويحاول نشرها مع أن أصله قد يكون من البلطيق أو السويد أو ألمانيا أو غيرها، وكذلك باختلاف شكل الفلاح الألماني وتركيبه عن سكان المدن الألمان ، وكذلك أصحاب المهن ، وكذلك الإنكليز الذين هم من عناصر مختلفة ، ومع ذلك ، فقد أصبح لهم قحف رأس مخصوص ، متخذ في الأرض والمحيط عاملاً مهماً في العنصرية والقابلية البشرية(١) . وغايتهم من ذلك غاية وطنية كذلك ، وهي ربط اليهود والألمان الذين في الخارج ، وتجنسوا بجنسيات أجنبية عن طريق الثقافة واللغة ، وتكوين ألمانيا عظيمة بدلاً من تنفير هؤلاء، وجلب السخط العالمي العام على الشعب الألماني

غير أن استيلاء هتلر على زمام الحكم قضى على كل معارضة طبعاً للعنصرية ، وحرم أي كتاب يعارض العقيدة . وأخذ Günther يصنف للألمان العناصر الموجودة في ألمانيا ، فتوصل إلى وجود خمسة عناصر أصلية وخمسة أخرى فرعية في الدماء الألمانية ولم يتوصل إلا إلى نسبة تقدر باثنين في المائة من الدماء الجرمانية الشمالية النقيّة . ولكن هنا لك مع ذلك اختلافاً أيضاً في التقسيم: هل تعتبر المظاهر الخارجية والتركيب العضوي للجسم أساس التقسيم ، أو العوامل الروحية والنفسية فقط أو كلاهما ؟ فظهرت آراء للأساتذة : Fischer و Lenny و Scheidt و Claus وغيرهم . وقد أعدت لأجل ذلك معاهد خاصة ومستشفيات

(١) انظر مجلة Die Gessellschaft لسنة ١٩٢٧ مجلد ١ ص ٩٨ وكذلك خطبة Othnar Spann في جمعية الطلاب الألمان في مدينة Brünn والتي طبعت في سنة ١٩١٣ بعنوان Zur Sonyiologie und Philosophie des Krieges 1913

(٢) أنظر كتاب Georg Steinhausen المعروف بعنوان Der Politische niedergang Deutschlands 1927

(١) أنظر كتاب « سقوط الغرب » المشهور للفيلسوف شبرنكلر Oswald Sprengler الذي أحدث أكبر ضجة في أوربا يوم نشر في عام ١٩١٨ بعنوان Der Untergang des abendlandes وكذلك كتاب Schmidt Roher المعنون mutter Sprache

ومختبرات تقوم بالتجارب المختلفة لتكوين علم جديد كسائر العلوم الأخرى إن لم نقل إنه أهمها

ويمكن أن نعتبر هذا العلم الذى تكون حديثاً قطب العلوم طراً فى ألمانيا الحالية ، فعليه أن يقسم العناصر البشرية إلى أصول وفروع ، وإلى أمم منتجة ذات قرابة مع الأمم الجرمانية وصلة ، وإلى أمم كتب عليها ألا تقوم فى التاريخ بأى دور أو حدث كالشعوب السامية والحامية وما يتفرع منها[1] . ووظيفة الجامعة الألمانية الحديثة أن تكيّف علومها وفق هذه العقيدة . ولا شك أن تلك مهمة صعبة شاقة ولا سيما فى العلوم العقلية منها فالتاريخ يجب أن يقلب رأساً على عقب ، والقرون الأولى ستبدأ بالجرمان وتاريخ أوربا ، ثم ينتقل إلى التاريخ الأشورى والبابلى والمصرى والحوادث التاريخية والحضارة البشرية يجب أن تغربل غربلة ليعثر على العنصر الآرى الفعال الذى هو بذرة كل حضارة . وتلك مهمة صعبة جداً كما يظهر ، لذلك لا قى أساتذة التاريخ خصوصاً المتقدمين منهم صعوبات فى هذا الفن ، أدت إلى إخراج معظم مدرسى التاريخ من الجامعات وإحلال عناصر جديدة من الشباب محلهم . وكذلك قل عن الفلسفة وعلم التربية والاجتماع والاقتصاد وغيرها بل حتى العلوم الطبيعية منها يجب إهمال أعمال وأسماء الأساتذة الذين ليست لهم صلة بالعرق الآرى أو نسب

أساس الحضارة العالمية والمدنية وكل إنتاج بشرى عقلى أو مادى هو « الدماء » فعلى الشعب الآرى لذلك أن يحافظ على دمه من الاختلاط بالدماء الأخرى ، إذ متى اختلط بالدماء البعيدة حلت بالشعب الكارثة العظمى وذهبت السعادة الأبدية إلى الأبد وفسدت الروح والبدن[2] ، وسقط العنصر القوى إلى أسفل درجة من الضعف والاستسلام[3] . وعلى هـذا وضعت قوانين « نورنبرك » فى منع أى آرى فى ألمانيا من الزواج بغير الآريين مهددة المخالف بأقسى العقوبات ، وكذلك فى طرد نصف الآرى ، أى الذى ينتسب إلى أب أو أم غير آرية ، أو ربع الآرى أى الذى ينحدر من جد أو جدة غير آرية — من الخدمة لفساد الدماء فى مثل هذه الأجسام

يرى معارضو هتلر والنازية فى عقيدة العنصرية هذه فكرة « الجبر » فما دام الدم هو العنصر المنتج للحضارة فلم إذاً هذه المدارس وتلك الجامعات ، ولم تلك النفقات الباهظة التى تنفق فى سبيل تربية الأحـداث ؟ ومن الغريب أن هتلر ينعى على اليهودية قولها بنظرية الشعب المختار والنازية نفسها تقول بهذه الفكرة باختيار الشعب الجرمانى وحده بين الشعوب وتفضيله على الشعوب الأخرى بالإنتاج والعلم والابتكار

معالجة مشكلة الدماء تحل كل مشكلة ، ولذلك يجب تقوية الجسم والمحافظة على الدم فيه نقياً سالماً . ومتى حوفظ عليه حوفظ على الحضارة العالمية والمدنية البشرية ، والسيادة الأوربية . الحضارة هى وليدة الدماء ، والقوة هى وليدة الدماء ، والجمال والفن كذلك

هذه هى فلسفة الوطنية الاشتراكية ، تجعل الروح وليدة المادة . ومن الغريب أيضاً أن الشيوعية التى يقاومها هتلر فى كتبه تجعل العوامل الروحية مصدرها المادة ، مع أن هتلر وروز نبرك يعتمدان فى آرائهما العالمية ووجهة نظرهما الفلسفية على الروح

بين هذه النظرة وبين مبدأ الأوجينيك Eugénik Eugénetik قرابة عظيمة . والوطنية الاشتراكية فى نظرتها العنصرية مدينة لهذا المبدأ أيضاً . القواعد التى وضعها العالم الفرنسى Francis Galton (١٨٢٠ — ١٩١١) والتى أطلق عليها الاسم المتقدم لأجل تكوين أجيال صالحة بمعالجة الجسم بقواعد عرفت « بقواعد كالتون » Galtonische regel ، والتى تعتمد على الوراثة فى الدرجة الأولى ونظريات mendll (١٨٢٢ — ١٨٨٤) و Gre gor mendl و Jean Lamark (١٧٤٤ — ١٨٢٩) وداروين .

أراد نيتشه الفيلسوف الألمانى فى زمانه إصلاح الأخلاق بالإصلاح العضوى لتقوية الأجسام وتقوية العقل والإنتاج بالطرق المباشرة كالأكل والرياضة لا بالنظريات الأخلاقية والأدبية العقيمة . وأراد فيورباخ Feurbach إصلاح الإنسان بالأكل وطرد الدين . وأرادت الشيوعية إصلاح المجتمع بتقويض الأنظمة القديمة ، وأراد هتلر بعث الجرمان والسيادة على البشر بتقوية الدماء . وكل له فى هذا العالم مذهب ورأى ، ولكل غاية ومثال . ولكن لكل شخص أن يقرأ ويرى كما يرى فى دور الصور المتحركة دون أن يسخر من كل رأى أو يضحك من كل فكرة .

عبد الله علي
خريج جامعة هامبرج بألمانيا

(١) أنظر إلى كتاب هتلر (كفاحى) Mein Kamff فى مواضع مختلفة ، وإلى كتب روزنبرك وكوبلز وكنتر وغيرهم

(٢) انظر كتاب (كفاحى) لهتلر ج ١ ص ٣٢١ وكتاب Werner Siebearth Hitlers Wolleus و Afred Rosenberg Der mythus ص ٢١ . كذلك Walther Gehl ج ٢ و ج ٣ و Günther . وغيره

(٣) انظر نفس المراجع وكتب الوطنية الاشتراكية المختصة بهذه الموضوعات

هـــذه هي . . . !

للأستاذ كامل محمود حبيب

أحب أبا مروان من أجل تمره ... وأعلم أن الجار بالجار أرفق
وأقسم لولا تمره ما حببته ... وكان عياض منه أدنى ومشرق
« غيلان النهشلي »

أطرق الرجل ساعة ، وأنا بإزائه أتفرّس فيه ، وهو زرى الهيئة مضطرب الهندام : قد تخدّد لحمه ، وذوى عوده ، وأدبر شبابه ... وإنّ فى عينيه عبرات مكفوفة يدفعها اليأس ويحبسها الحياء ، وعلى شفتيه آهة عميقة لا تجد لها متنفساً ... وتبدّت لى خواطره تصطرع فى رأسه ، وهو يشرب القهوة فى نهم ، وينفث دخان سيجارته فى لذة ... فأردت أن أجذبه إلىّ ، فقلت : « ما بالك تكتم عنى ذات نفسك ، وقد خلا بنا المكان ؟ » قال : « إنّ فى النفس حديثاً طويلاً ، ولكنى ألفيتك رجلاً غير مَن صوّرتُ فى خيالى ! » ... ورقّت رنّات صوته ، حتى خيل إلىّ أن آلام قلبه تعتلج فى صدره ، فتتحدث هى حديثاً كله أنّات ، ثم قال : « ... وأنا لا أستطيع أن أومن بأنك أنت صاحب « ذرينى » ، ومن بعدها « شيطانة تتفلسف » ، وكيف يتأتى لك أن تكتب ما قرأت وما فى دارك إلا الأمر والطاعة ، وإلا الهدوء والطمأنينة ، وإلا السعادة و ... »

قلت : « يا سيدى ، إن المرأة لا تجلب السعادة ، ولكنها أبداً تنضح الشقاء ! »

قال : « كأنك تعنى أن نصف العالم خُلق شقاء للنصف الآخر »

قلت : « ولِمَ لا ؟ »

قال : « وبماذا رمتك المرأة فتهدم عليها بمثل كلامك هذا ؟ »

قلت : « يا عجباً ! أفلا ترى أن المرأة كالماء الآسن حين تنعكس عليه أشعة الشمس الذهبية ، فيبدو جيلاً صافياً خلاباً ، فإذا اغتمرتَ فيه اغتمرتَ فى النتن والوحل معاً ؟ »

قال : « وهذا معنى آخر مما يضطرب فى نفسك ، فهل لك أن تسمع قصة عذابى علك تجد فيها مادة ! »

قلت : « هات ! »

قال : « أما أنا ، فقد نالنى من المرأة عنت كبير ... كنا — أنا وهى — زوجين فى رغد من العيش ، ودعة من الزمان ورخاء فى البال ؛ وأنا موظف فى الحكومة يُغِلّ علىّ عملى ما يكفى عدداً ، وفىّ القناعة والرضا ، وهى لا تبسط يدها كل البسط ؛ وتصرمت الأيام ، وأنا أجد فيها سلوة عن الابن ، وقد ضنّت به الأيام ، وعزاء عن الأم ، وقد سلبتها منى يد القدر ... »

ثم غدر بى الدهر غدرة واحدة ، فقذف بى بين براثن المرض لا أبرأ ولا أستقل ... وانطوت الأشهر وأنا بين الطبيب والدواء والحكومة فى مرض آخر : فالطبيب شره لا يطفئ السيل غلته ، والدواء لا يشفى ولا ينقطع ، والحكومة من ورائهما تضع من راتبى قليلاً قليلاً . وأحسست بالهاوية التى أتحدّر إليها رويداً رويداً ... فأشفقت على زوجتى أن تجد لذع الفقر وقد أشفيت عليه ، أو أن ينسرب إلى قلبها الملل وقد طالت علّتى ، وفى رأيى أن أسرّحها لتنطلق إلى متعة قلبها ولذة نفسها ، وهى شابة فيها عقل المرأة ونزعات الأنوثة ...

ونشرتُ على عينى أمها حديث نفسى ، فراحت العجوز إلى ابنتها توسوس ... وجاءت الزوجة — وفى عينيها عبرات تترقرق — تزور حديثاً : « كيف أتخلى عنك الآن ؟ أفأعيش إلى جانبك سنوات لا أستشعر منك إلا الشهامة والكرم ، وإلا الرجولة والتضحية ؛ ثم أفزع عنك وأنت بين المرض والعوز ، لأكون مسولاً آخر يهدم بقية فيك نترجاها ؟ »

واطمأنت نفسى إلى حديثها ، فاستقرت

لقد كانت فكرة عابرة ، غير أنها بعثرت حياتها ، فانبعثت هى تكشف لى عن أدران نفسها

ألحت علىّ الحاجة فتحولت عن دارى إلى حجرات ضيقة وضيعة ، ومكرت هى بى فحملت أثاثها إلى دار أبيها إلا حاجات عبث بها البلى ، وجاءت أمها تريد أن تمينى على عيلتى بكلام يتوثب من أضعافه الصلف والزهو ، فأبت كبريائى أن تذل لها ، على حين تعصرنى الفاقة ويثقلنى الدين ، وليس لى من أفزع إليه سوى أختى ، وهو بين أولاده وزوجته ورقة حاله فى هموم ...

وأحسستُ من الزوجة الشابة الإغضاء والإهمال ، فهى تنفلت من لدنى — بين الحين والحين — فى تطريتها وزينتها ، تزعم أنها تزور أهلها وصاحباتها ، وهى تنطوى عنى ساعات من النهار ؛ وأنا بين الشك واليقين لا أستطيع أن أمسكها فتجد مس الضيق والملل ، ولا أن أرسلها فأذوق مرارة الوحدة وعذاب المرض معاً وضاق بى صدر الحكومة فلفظتنى ، وللحكومة قانون يحكم

على المرضى بالإعدام . وظلت زوجتى تداجينى وتفتن فى مرضاتى حتى أرسلت الحكومة إلىّ مكافأة مالية لا ترد عادية ولا تدفع فقراً ، غير أن قطرة منها تُروى حِرّتى ... أرسلتها الحكومة فأخذتها الزوجة وطارت ... طارت أحوج ما أكون إليها ، لتذرنى وحيداً على فراش المرض والضيق ، لا أجد إلى جانبى سوى خادم صغيرة لا تستطيع شيئاً »

وسكت سكتة طويلة حين اضطربت الكلمات على شفتيه ، وتدفقت العبرات من محجريه لا يستطيع كَبْتَها . فقلتُ : « لا بأس عليك ، يا صاحبى ؟ » قال : « هذا ضعفى ، ولعمرى لقد كنت أضن به أن يبدو أمام الناس، وهأنذا أريقه على عينيك ! » قلت : « لا ضير ، لقد طارت فلا تدعها تنفث فيك من هموم الحياة ، لقد طارت فماذا كان ... ؟ »

قال : «وجاء أخى يرفه عنى بكلمات ... على حين قد حضرنى بثى ثم تماثلتُ للشفاء وأنا أرزح تحت عبء الدَّين وشدة الصدمة، وتحدّثت إلىّ رجولتى ساعة من زمان ، فإذا زوجتى غريبة عنى وترامى إليها الخبر ، فهبت تحدثنى بلغة المحاكم الشرعية ، وللمحاكم الشرعية لغة هى فى عقل المرأة انتقام وتنكيل ، وفى عقل القاضى ثأر واقتصاص ، وفى رأى الزوج مُثْلة وعِبرة ، وفى عينى العَزَب زجر وعظة . ثم هى ـ دائماً ـ تقول للزوج « أيها الأحمق ، لِمَ تزوجت ؟ » وللعزب « أيها العاقل ، إياك إياك ! »

وعشتُ سنة لا أبرح السجن إلا ريثما أعود إلى غيابته ، وما فى يدى ما أستطيع أن أدفع به نهم الزوجة ولا غفلة القاضى »

ثم أطرق وقد نفث حديثه فىّ روح الأسى والحزن ، وإن فى نفسى غيظاً يحتدم ... ثم قلت : « وهى ؟ » قال : « أما هى فقضت أيام محنتى بين ذراعى حبها الجديد، ثم مكرتْ به ـ بعد أن عصفت بى ـ فإذا هو زوجها » قلت: «يا لله ! ويل للرجل من المرأة»

فقال فى هدوء : « من النساء غُل قَمِل يقذفها الله فى عنق من يشاء ثم لا يخرجها إلا هو »

قلت : « صدق رسول الله ، فعلام إذن تذهب نفسك حسرات ، وأنت ما تفتأ فى شبابك ؟ »

قال : « لا بأس ، فلقد قرّ رأيى على أن أطوى الماضى لأكون رجلاً غيرى »

قلت : « نعم ولتكون رجلاً ... رجلاً فيك الرجولة »

كامل محمود حبيب

أفانين

أثر الإيحاء في جلب التفاؤل

للأســتاذ على الجندى

— ١ —

للإيحاء سلطان كبير على النفوس، يدفعها إلى القيام بأعمال جليلة ما كانت لتقوم بها لو عداها أثره الحافز القوى

ولا نبالغ إذا قلنا: إن جل الناس يضربون فى زحمة الحياة ومعتركها الهائل تحت تأثير ذلك الإلهام الباطنى وإن لم يشعروا به أحياناً لأنه أخفى دبيباً من السحر

وفضل هذا الإيحاء عظيم فى أنه يشد عزائمنا ويستجيش قوانا، ويملؤنا رجاء وأملاً، ويهوّن علينا اجتياز الصعاب والعقبات

فالتاجر لا تتفتح نفسه للتجارة ويقبل عليها بشغف ولذة، إلا إذا ألهم نفسه أن من وراء ذلك المكسب الطائل والربح الوفير

والجندى فى ساحة الوغى إذا فَقَدَ الروح المنوية — وهى فن من الإيحاء — فَقَدَ أمضى أسلحة القتال، ولم يُجْدِ عليه أن يكون شجاع القلب حسن الدربة قوى العدة. وقد عبر عن هذا المعنى بأجلى عبارة فارس الإسلام «على بن أبى طالب» حين سئل: بم كنت تنال النصر؟ فأجاب: كنت أبرز للخصم وأنا أعتقد أنى أغلبه، وهو يعتقد أنى أغلبه، فكنت أنا ونفسه عليه

والإيحاء بمعناه العلمى يؤمن به أطباء هذا العصر كل الإيمان ويستخدمونه علاجاً ناجعاً فى شفاء الأمراض العصبية والعقد النفسية والعادات الشاذة. وقد حدثنى بعض من درسوا الحياة الإنجليزية أن الأم هناك تعود طفلها قبل النوم أن يقول لنفسه: «إنى سعيد» عشر مرات والغرض من هذا أن يتدسس هذا الاعتقاد إلى عقله الباطن فيخالط نفسه بمر السنين ويمتزج بمشاعره، فيستقبل الحياة مرحاً متفائلاً ريان الأمل بساماً على السراء والضراء

وأقول بهذه المناسبة: إنى شفيت بفضله بعض الشفاء من الخجل المفرط والحياء الغالى، وهو مرض موروث كثيراً ما قعد بى عن غشيان الأندية والمحافل، ومنعنى من أداء الواجبات وزيارة الأصدقاء

كما أشهد أنى انتفعت به فى قرض الشعر؛ ذلك أننى كنت مكثراً منه فى مفتتح حياتى الأدبية، ثم صرفتنى عنه الكتابة صرفاً تاماً حتى عسر الرجوع إليه، فما زلت أوحى نفسى بأن من الجناية تعطيل هذه الموهبة، وأن الشعر أروع ألوان الأدب وأجلها خطراً ولا يسد مكانه غيره، حتى عدت إليه تدريجاً ... والعود أحمد إن شاء الله. وليس التشاؤم إلا ضرباً من الأوهام تتحكم فى ضعفاء الإرادة رقاق الإيمان، فيمكن التخلص منها بالإيحاء

وهذا الدواء - أعنى الإيحاء - عرفه الناس قديماً لأنه دواء فطرى، إذ لا يخرج فى حقيقته عن المغالطة التى يلجأ إليها الإنسان أحياناً ليدخل الروح على نفسه ويستل منها القلق والاضطراب.

ولنعرض الآن صورتين متشابهتين يغلب فى الأولى التشاؤم فيلونها بلون قاتم كريه نقرأ فيه اللوعة والحيرة والتبلبل! ويتجلى فى الثانية التفاؤل فيُشيع فيها النضارة والبهجة والإيناس!

فى الصورة الأولى نرى (ذا الرّمة) الشاعر، مر فى طريقه بغراب ينعب فوق بانة، فمثّل له خياله المظلم أن الغراب نذير الاغتراب! وأن البانة عنوان البين! وقد نعهد له المذر فى الغراب، ولكن كيف يسوغ التشاؤم بالبان؟ وبه تشبه قدود الحسان!

قال ذو الرمة:

رأيت غراباً ناعباً فوق بانةٍ … من القضب لم ينبت لها ورق نضر

فقلت غرابٌ لاغتراب، وبانة … لبين النوى، تلك العيافة والزجر

ومثله جحدر اللص فى قوله:

ومما هاجنى فازددت شوقاً … بكاء حمامتين تجاوبانِ

تجاوبتا بلحن أعجمىّ … على غصنين من غَرَبٍ[1] وبان

فكان البان أن بانت سليمى … وفى الغرَب اغتراب غير دانى

وفى الصورة الثانية نرى الأمر على نقيض ذلك مع أن بواعث التشاؤم أشد وأكثر، نرى (أباحية النمرى) أنشأ سفراً، فسنحت له عُقاب، وطالعته حمائم تنوح على شجرة طلح، وهدهد ساقط على غصن بان، تحته بقعة من دم مسفوح!

وكانت هذه المرائى الغريبة التى يسودها التنافر خليقة بأن يتطير منها، ولكنه طرد عن نفسه طوارق السوء، وأوحى لها أن كل أولئك من أمارات الخير والبركة، فما عتّم أن انقلب الشؤم فى عينه يمناً، واستحال الليل نهاراً! قال:

بدا يوم رحنا عامدين لأرضها … سنيحٌ، فقال القوم مرّ سنيحُ

فهاب رجال منهمو وتقاعسوا … فقلت لهم جارى إلىّ ربيح

عُقاب بأعقاب من الدار بعد ما … جرت نية تسلى المحب طروح

وقالوا حمامات فَحُمّ لقاؤها … وطلح، فزيرت والمطىّ طليح

وقال صحابى هدهد فوق بانة … هدى وبيان بالنجاح يلوح

وقالوا: دمٌ، دامت مواثيق بيننا … ودام لنا حلو الصفاء صريح

ويمتد بنا القول إذا وقفنا عند كل شاهد وعمدنا لتحليله،

(١) شجر رخو الأعواد

فنكتفي لضيق المقام بإيراد الأمثلة وفيها غنية عن البيان

دخل الحجاج الكوفة متوجهاً إلى عبد الملك فصعد المنبر، فانكسر تحت قدمه لوح، ففطن إلى أن الكوفيين قد تطيّروا له بذلك، فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله وقال: شاهت الوجوه وتبّت الأيدى! وبؤتم بغضب الله! أئن انكسر عود جذعٍ ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم؟! ألا وإنى على أعداء الله تعالى لأنكد من الغراب الأبقع، وأشأم من يوم نحسٍ مستمر!

وخطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان، فسقط القضيب من يده، فتطيّر له عدوه بالشر، واغتمّ صديقه، فعرف قتيبة ذلك فقال: ليس الأمر على ما ظن العدو وخاف الصديق، ولكن كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى   كما قر عيناً بالإياب المسافرُ

وكان الوزير أبو نصر الكندرى يتولى فى أول أمره حَجْب الناس، وكان الباخرزى رفيقه فى الدرس فقال مداعباً إياه:

أقبل من كندر(١) مُسَيْخرةٌ   للنحس فى وجهه علاماتُ
يحضر دُورَ الأمير وهو فتًى   موضع أمثاله الخَرَاباتُ

ثم ارتقت الحال بالكندرى حتى صار وزيراً محكما، فورد عليه الباخرزى وهو فى صدر الوزارة ببغداد، فلما رآه قال له: أنت صاحب (أقبل من كندر مسيخرة ...) قال: نعم. فقال الكندرى: مرحباً وأهلاً! إنى تفاءلت بقولك (أقبل ...) ثم خلع عليه قبل أن ينشده مديحه فيه. ومن الأمثلة الشعرية قول نور الدين المايورقى من شعراء نفح الطيب:

وذى هيفٍ راق العيون انثناؤه   بقد كريّان من البان مُورق
كتبتُ إليـه: هل تجود بزورة؟   فوقّع «لا» خوفَ الرقيب المصدّق
فأيقنت من «لا» بالعناق تفاؤلاً   كما اعتنقت «لا»(٢) ثم لم تتفرق

ويقول عبد الرحمن من شعراء اليتيمة:

إذا دهاك الوداع فاصبرْ   ولا يهولنّك البعـادُ
وانتظر العوْد عن قريب   فإن قلب الوداع (عادوا)

ومن أروع الشعر فى ذلك: ما كتب به أبو الفضل الميكالى إلى قوم من أهل (مَرْو)(١) انخلعوا من طاعته وحلوا لواءه وتألفوا فرقتين تعيثان فى الأرض فساداً! قال:

يا راكباً أضحى يخبُّ بعنسِه   ليؤم مَرْوَ على الطريق المَهْيعِ
أبلغْ بهـا قوماً أثاروا فتنةً   ظلّت لها الأكبادُ رهن تقطّع
إذ قدّموا ظلماً على سلطانهم   بالغدر والخلع الذميم المفظِع
وبحلّ عقـد لوائه وإباحةٍ   لجنـابه وحريمه المتمنع
أبلغهمُ أنى اتخذتُ لفعلهم   فألاً، له فى القوم أسوأ موقع
أما اللواء وحلّه فمخبِّرٌ   عن حلّ عقدٍ بينهم مستجمع
والخلع يخبرُ أن ستُخلع عنهم الـ   أرواح بالقتل الأشدّ الأشنع
والغدر يُنبى أن تغادَر فى الورى   أشلاؤهم لنسوره والأضبُع
والفِرْقتان فشاهدٌ معناهما   بتفرُّقٍ لجميعهم وتصدُّع

ويلاحظ فى هـذه الأمثلة أنها من نوع الإيحاء الذاتى «إيحاء الإنسان إلى نفسه» وسنتبع هذا المقال بطائفة من غرر الإيحاء الخارجي، فيها قرة العيون وشفاء الصدور والله المستعان!

علي الجندي

(١) اسم قرية (٢) إشارة إلى اعتناق الألف واللام وللشعراء فى ذلك كلام كثير منه
رأيت شخصك فى نومى يعانقنى   كما تعانق لام الكاتب الألفا
(١) عاصمة خراسان

من الذروة

هـــذا القطيع ...!

[إلى الذين ما مست مزاهرهم يد الله]

... ولمحتُ رَكباً فى الحضيضِ مُغنّياً
طمَرَ الخنا تحتَ النّشيدِ وَدَسَّهُ
مِنْ كلِّ نشوانِ الرَّبابِ طهارَةً
وَحشاهُ للأكْوانِ يُترِعُ رِجْسَهُ
لَبِسَ المُسُوحَ فقيلَ: قِدّيسُ الحِمى!
والجيفةُ الشّنعاء تلفِظُ قُدْسَهُ
وبَكى الغرامَ فقيلَ: أرْخمُ عاشِقٍ
غنّى! ونَتْنُ الفُحشِ يَزْحَمُ نفسَهُ
كَذِبٌ يُجلجِلُ فى الصّدى، وخواطرٌ
إفْكُ الرّحيقِ بها يُعاتِبُ كأسَهُ
فكأنها فى الشّدْوِ مَنطِقُ مُومِسٍ
نَعْشُ الحياء بها يُواثِبُ جَرْسَهُ...!
فمضيتُ أسألُ: أىُّ جَوْقٍ مُزْعِجٍ
لِلْمُلْهَمِينَ شدا ليُطرِبَ رَمْسَهُ؟
فأُجِبْتُ: دَعْ هذا القطيعَ، فإنهُ
بُومٌ يُؤبِّنُ فى المفاوزِ حِسَّهُ!!

محمود حسن اسماعيل



من الفا س إلى السلاح

خففت إلى القرية منذ بضعة أيام ، وقد أغرانى الصحو والدفء أن أنعم بهما هناك يوماً أو يومين فى ملاعب صباى ومسارح هواى وجنة أحلامى ؛ ورحت فى رونق الضحى أثب كالفراشة من حقل إلى حقل ومن غدير إلى غدير ، وفى قلبى فرحة الغلام ، وفى خيالى أحلام الشاعر .

وجلست أستريح ساعة فى مصلى على جانب الطريق ، أستند إلى جذع شجرة التوت العتيقة التى جردتها يد الشتاء العاتية من أوراقها ، والتى طالما استروحت نسيم الأصل الرخى فى ظلها السابغ أثناء الصيف ؛ وأخذت عيناى من بعد شخصاً قادماً فى زى « الأفندية » ، فلما صار بحيث أتبينه ، رأيته فى زى « الجند » وما لبث أن دنا منى فعرفته ، ولما بلغ حيث أجلس نطق بالسلام مبتسماً ورفع يده إلى رأسه محيياً بالتحية التى تعلمها فى الميدان ... وعجب إذ نهضت واقفاً له وإذ مددت إليه يدى مصافحاً ، وأشرت إليه فجلس على استحياء على حافة المصلى

هذا هو حسن الفتى القروى المرح ، القسيم الحيا الذى تعرفه القرية كلها بمواويله الساحرة العذبة التى كان يمليها عليه فى الأفراح ما هز قلبه من حب عف شديد والتى ما لحق به فى مضمارها أحد من منافسيه .. ولقد طالما رأيته بالأمس يخطر فى ملابسه القروية فى تلك البقاع ، ولقد طالما سمعته من قريب أو من بعيد يبدأ أغانيه الحلوة بقوله : « آه ... يا ما جرى لك يا قلبى »

واليوم أراه فى حلته العسكرية ينتعل ذلك الحذاء الضخم ويضع على رأسه الطربوش ويمسك بيده عصا رفيعة من الخيزران ، وقد زال عن وجهه سفع الشمس إلا قليلاً فبدا أكثر وضاءة وأجمل قسامة وأنضر عافية

ولمحت فى عينيه شيئاً من القلق ولكن لم يشب عنى سببه ، فأنا أعرف أن ذلك المصلى مكان انتظاره لمن يهوى قلبه وهى قافلة من الترعة أو ذاهبة إليها ؛ وأشرت إلى ذلك مداعباً ممازحاً فضحك ضحكة جميلة مازج الطلاقة فيها الخجل ... ولكن إشارتى إلى ما فى نفسه زادت قلقه ، فوجم برهة ، وأدركت أنه يهم بالانصراف فأخذت أهدئ بالحديث روعه

ولم يطل ذلك الحديث فقد رأيت الصفرة تغشى وجهه والخجل يتزايد فى عينيه ؛ فالتفت فإذا هى مقبلة تحمل جرتها ، ورأيتها حينما دنت منا قد أخذتها ربكة المفاجأة فاضطرب هيكلها ثم أسرعت فأخفت وجهها بطرحتها ... وبدا لى فناديتها حين مرت فأبطأت ولكنها لم ترد ولم تلتفت ، فأكدت ، فوقفت ثم تغاضبت فأقبلت فى حياء شديد ، فصحت بها لتقدم وإلا نهضت فجئت بها على رغمها ، فجاءت ووضعت يدها فى يد خطيبها ثم انتزعتها مسرعة دون أن تتكلم ، وأشرت إليه فحط عنها الجرة وأرغمتها على الجلوس ، فجلست إلى جانب المصلى تحجب طرحتها نصف وجهها المتورد الجميل

وانعقد لسان الجندى فلم يدر ماذا يقول « فأنقذت الموقف » أنا بامتداحى حياة الجندية وبثنائى فى عبارة يفهمانها على أولئك البواسل الذين يفتدون بلادهم بأرواحهم ... ولمعت عينا الجندى الشاب ، ثم تندت بدموع الفرح وأنسته الحماسة خجله ؛ فقال وهو الذى كان يحمل الفأس بالأمس إنه يفدى بلاده بدمه إذا لزم الفداء ... ونظرت إليه الفتاة نظرة لم أر فيها إلا معانى الإعجاب والارتياح ؛ ونهضت قائلاً إنى أتركهما برهة ليقولا ما بنفسيهما .

وعدت إذ رأيته يضع على رأسها الجرة وواجهتنى ذاهبة ، فإذا هى مستبشرة راضية تكتم ضحكتها ؛ ودنوت من ذلك الجندى أسأله لم لا يصف ذلك فى موال من مواويله وهو ذلك الشاعر الذى ما تحى لسانه فى موقف ... ولكنه لم ينطق بموال حينذاك ، وإنما راح يتكلم عن حب الوطن وعن معانى الفداء والبطولة . ولشد ما أعجبنى قوله « الواحد منا ما يستهلش خير بلاده إذا ما دفعش عنها بدمه ، والراجل إيه فائدة عافيته وشبابه ؟ يا ترى يقعد زى البنت ؟ » وأكد لى أنه لا يأسف على فراق قريته فى سبيل وطنه وله فيها من يهواها قلبه فحب بلاده فوق كل حب !

واستأذن الجندى الفلاح فوقفت أصافحه فى حماسة وشيعته بنظرات الإكبار وهو يمشى مشية متزنة سريعة ، وعجبت كيف تغير الجندية عقلية هؤلاء الفلاحين بمثل هذه السرعة ، وأثلج صدرى أن أرى فى ذلك الفتى المتحمس الدليل الحى على صحة ما يقوم أبداً في نفسى من أن هذا الذى يجيل الفأس فى تربة وادينا الوديع الهادئ كفيل بأن يدير فى يده السلاح بنفس المهارة إذا هو قلد السلاح ... ومن أين جاءت جنود تحتمس ورمسيس وابراهيم ؟ وكم بين هؤلاء السذج زرق الجلابيب من قادة أمجاد وعلماء أفذاذ وشعراء فطاحل وساسة أماثل ولكنهم تركوا فى غمار الجهل والفاقة لا يعلمون إلا أن يجيلوا الفأس فى ثرى الوادى فى صمت وصبر جاهدين

« الخفيف »

لقب السـفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هذا موضوع كنت قيدته فى مذكرتى منذ سنين تحت هذا العنوان (لمن لقب السفاح)، وكان هذا بعد أن قرأت فى كتاب « الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة وصف عبدالله بن على ابن عبدالله بن عباس بالسفاح، وتركه وصف أبى العباس به، وهو عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس؛ فالأول عم الثانى، وكان والياً له على الشام، وهو الذى تولى فيه حرب بنى مروان، وسفك فيه ما سفك من دمائهم، ثم أخذت فى تحقيق ما رأيته من الاضطراب فى ذلك الوصف، ودونت تحقيقاتى فى مذكرتى على هذا الترتيب:

١ — جاء فى ص ١٢٧ من كتاب المعارف لابن قتيبة وصف أبى العباس بالسفاح.

٢ — جاء فى تاريخ بغداد ص ٤٦ ج ١٠ تلقيبه بالمرتضى والقائم

٣ — جاء فى كتاب « خلاصة الذهب » المسبوك للأربلى ص ٤٠ تلقيب أبى العباس بالسفاح والمرتضى والقائم.

٤ — جاء فى ص ٤٧٧ ج ٥ من كتاب (صبح الأعشى) للقلقشندى أن الخلف وقع فى لقب السفاح، فقيل القائم، وقيل المهتدى، وقيل المرتضى

٥ — جاء فى ص ٢٠٧ من تاريخ ابن العبرى أن أبا العباس كان رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه، يكره الدماء، ويحامى على أهل البيت

٦ — قرأت ما كتبه ابن جرير الطبرى عن أبى العباس فلم أجد فيه وصف أبى العباس بالسفاح

٧ — جاء فى كتاب (الفاطميون فى مصر) للأستاذ حسن إبراهيم حسن أن الأستاذ دى غويه كان يرى أن السفاح معناه الرجل الكثير العطايا أو المناح

وقد وقفت عند هـذا فى مذكرتى، وشغلت عن الكتابة فى هذا الموضوع بما فيها من الموضوعات الكثيرة، إلى أن قرأت فى مجلة (الثقافة) الغراء بعض ما كتبه فيه الأستاذان الجليلان عبد الحميد العبادى وأحمد أمين، فكنت والله كأنى فقدت بعض أولادى لأن أفكارى تبلغ عندى منزلة الأولاد، وقد تكون أعز منها عندى، وفى سبيلها يهون على ما ألاقيه من عنت واضطهاد فى هذه الحياة

ثم عزيت نفسى عن ذلك بما أغناها الله به من مثل هذه الآراء والأفكار، وانتظرت ما ينتهى إليه أمر الأستاذين الجليلين فى ذلك الموضوع، فلعلهما يتركان لمثلى الكلام بعدهما، ويكون لى ما أعقب به عليهما. فلما فرغا منه وجدت الموضوع لا يزال فى حاجة إلى التحقيق، ورأيت أنهما لم يصلا إلى تلك النصوص السابقة، ولو أنهما وصلا إليها لتغير نظرهما فى ذلك الموضوع

لقد ذكر الأستاذ العبادى فى أول ما كتبه عن السفاح أنه كان شاباً متصوناً، عفيفاً، حسن المعاشرة، كريماً، معطاء، ذا شعرة جعدة، طويلاً، أبيض، أقنى الأنف، حسن الوجه واللحية، ورتب على هذا رأيه فى معنى لقب السفاح الذى عرف به أنه بمعنى الكثير العطاء، وليس بمعنى السفاك للدم، لأن مثل تلك الصفات التى كان السفاح يتحلى بها إنما تلتئم مع المعنى الأول للسفاح وهو المعطاء، ولا تلتئم مع المعنى الثانى، لأنه معنى ذم لا يلتئم مع تلك الصفات الكريمة

والأستاذ العبادى مسبوق بهذه النظرة إلى معنى السفاح الذى لقب به أبو العباس، فقد ذكر الأستاذ حسن ابراهيم حسن فى بعض تعليقاته على كتابه (الفاطميون فى مصر) أن الأستاذ نيكلسن قال فى بعض كتبه: يقول الأستاذ بيفان الذى أدين له بهذه الملاحظات إن ترجمة لفظ السفاح ولو أن استعمالها قد شاع بين الكتاب الأوربيين لا تزال مثار الكثير من الشك، وقد ذهب الأستاذ دى غويه إلى القول بأن السفاح معناه الرجل الكثير العطايا أو المناح، وإنه مما يهمنا ملاحظته أن هذا الاسم قد أطلق على بعض شيوخ القبائل فى الجاهلية، ويقال إن سلمة بن خالد الذى قاد بنى تغلب فى موقعة بنى كلاب الأولى (ابن الأثير — طبعة ترنبرج ج ١ ص ٢٤٦) سمى السفاح لأنه أفرغ مزاد جيشه قبيل الموقعة، ثم قال: والذى أميل إليه أنه إنما سمى بهذا الاسم لقوله فى أول خطبة له (فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح)

وفى هذا النقل بعض من الاستقصاء العلمى الذى عرف به المستعربون الأوربيون، ولكن فيه مع هذا تخليطاً كثيراً نحب

أن ننبه هنا إليه ، ثم نعود بعد إلى موضوعنا ، فقد سميت الموقعة فى ذلك النقل موقعة بنى كلاب ، وهو خطأ فى التسمية ، وإنما هو يوم الـكُـلاب الأول من أيام بكر وتغلب، وقد جاء فى القاموس (وكلاب كغراب موضع وماء له يوم) وكان هذا اليوم بين شرحبيل وسلمة ابنى الحارث بن عمرو ملك بكر بن وائل ، فإنهما اختلفا بعد موت أبيهما على الملك ، وتواعدا الـكلاب ، فأقبل شرحبيل فى ضبة والرِّبابِ كلها وبكر بن وائل ، وأقبل سلمة فى تَغلِبَ والنمر وبهراء ومن تبعه من بنى مالك بن حنظلة ، وعليهم سفيان بن مجاشع ، وعلى تغلب السفاح بن خالد ، وإنما قيل له السفاح لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم : ابتدروا إلى ماء الـكلاب فسبقوا ونزلوا عليه ، وقد قتل فى ذلك اليوم شرحبيل بن الحارث وجيء برأسه إلى أخيه سلمة ، فلما رآه دمعت عيناه ، وقال :

ألا أبلغ أبا حَنَشٍ رسولاً ... فمالك لا تجيء إلى الثوابِ
تَعَلَّمْ أن خير الناس طُرًّا ... قتيلٌ بين أحجار الـكُلاب
تداعت حوله جُشَمُ بن بكر ... وأسلمه جَعَاسيسُ الرِّباب

وكان أبو حنش هو الذى قتله ، ثم بعث برأسه إلى سلمة مع عسيف له ، ولم يحضر بها مخافة منه ، فقال سلمة لعسيفه : أنت قتلته ؟ قال : لا ، ولـكنه قتله أبو حنش ، فقال : إنما أدفع الثواب إلى قاتله، وكان قد جعل لمن يأتيه برأس أخيه مائة من الإبل

وقد رد الأستاذ أحمد أمين على استبعاد أن يكون أبو العباس سفاحاً بمعنى سفاك مع ما كان له من تلك الصفات الـكريمة، بأن هذا لا شيء فيه ، لأن كثيراً من أبطال الجاهلية كان سفاكا للدماء ، ومع هذا كان يتحلى بمثل تلك الصفات التى كان يتحلى بها أبو العباس ، كعنترة العبسى وغيره . ورد عليه الأستاذ محمود محمد شاكر بأن الرقة والجمال ولين الخلق تخفى وراءها أحياناً قسوة لا يدانيها قسوة ، كالذى يكون فى النساء ، فإنهن قد عرفن بين الناس بالرقة ، وهن أغلظ أكباداً من الإبل . ومع هذا يرى الأستاذ محمود أن السفاح لقب أبى العباس من سفح المال لا من سفح الدم ، لأن أبا العباس كان يسمى عبدالله الأصغر ، وكان أخوه أبو جعفر يسمى عبد الله الأكبر ، وأبو جعفر قد لقبه أبوه فيما يعلم الأستاذ محمود بالمنصور ، فلا غرو أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه كما لقب أخاه ، ولا يعقل أن يلقب أحد ولده بمذمة سفح الدماء وهو ينصبه للناس خليفة ، وقد روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يخرج منا رجل فى انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يقال له السفاح ، يكون عطاؤه للمال حثياً » وأئمة الحديث لا يصرفون هذا الاسم إلى أبى العباس ، ولـكن بنى العباس استخدموا مثل هذا فى دعوتهم. فالسفاح إذن ليس من سفح الدم ، وهو بهذا المعنى مجاز مقصود لغرض بعينه

وإنى لا أوافق على أن العباسيين كانوا ينظرون إلى لقب السفاح بمعنى السفاك للدم مثل نظر الأستاذ العبادى والأستاذ محمود شاكر ، لأنهم كانوا يريدون منه السفاك لدماء أعدائهم ، وهذا عندهم لقب مدح لا ذم ، وقد تمدح به أبو العباس فى أول خطبة له فقال : « فأنا السفاح المبيح ، والثائر المنيح » وفى رواية الطبرى « والثائر المبير » . ولا شك أنه إذا أمكننا أن نحمل السفاح المبيح على معنى سفح المال وإباحته ، فإنه لا يمكننا أن نحمل الثائر المنيح أو المبير إلا على معنى إهلاك الأعداء وسفح دمائهم وإباحة أهلهم عليهم . ولا مانع بعد هذا عندى فى أن يكون فى السفاح معنى سفح الدم وسفح المال ، ورأيى فى الحديث الذى جاء فيه ذكر السفاح أنه من الأحاديث الضعيفة ، والظاهر أنه لم يظهر إلا بعد انقضاء عهد السفاح ، وأنه كان يقصد به التقرب إلى العباسيين ، كالحديث الذى روى عن ابن عباس أنه قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأدال الله من بنى أمية ، ليكون منا السفاح والمنصور والمهدى[1]

وأما ما ذكره الأستاذ محمود من أن السفاح بمعنى سفح الدم مجاز فينافيه ما ذكره الزمخشرى فى أساس البلاغة ، وهو الـكتاب الذى يرجع إليه فى تمييز المعانى الحقيقية والمجازية ، فقد ذكر السفاح بمعنى السفاك للدماء فى الاستعمال الحقيقى لمادة س ف ح ، ولم يذكر فيه ولا فى الاستعمال المجازي معنى سفح المال ، وهـذا يدل على أن استعماله فى الأول أقرب من استعماله الثانى ، ولنقف الآن عند هذا الحد ، لنتم بحث ذلك الموضوع بعد

عبد المتعال الصعيدى

(١) على أن الحديث ليس نصا فى أن السفاح بمعنى الـكثير العطاء ، لأن الصفة كما تكون كاشفة تكون مؤسسة

الأدب في أسبوع

الهجرة

يا نبيّ الله ! !

إنّ الإسلامَ قد قَعَدَ به أهلُه ، والزّمنُ بالناسِ يعدُو،
والحياةُ في العالمِ فكرٌ يتحقّق ، وهي عندنا حُلُمٌ يتبدّد،
هذه أمّتُك تملأُ الأرض ، ولكن قد فرغت قلوبها من الإيمان
والإيمانُ في دينك قولٌ وعملٌ ، كانت به المعجزةُ الإسلامية
ولكنه عندنا قولٌ وجدلٌ ، تكون به الفُرقةُ الجاهليّة ...
فاللهمّ هِجْرةً كهجرةِ نبيّكَ بالعزمِ والإيمان
اللهمّ جهاداً كجهادِه يُجدّد القلوبَ والأوطان

الشباب والأدب

الطفل حياةٌ صغيرة غضّةٌ ليّنةٌ تقبلُ التشكل وتطاوعُ على ضغط البيئة التي تكتنفها وتُطيفُ بها وتميل عليها ؛ وبيئةُ الطفل هي أخلاق أبويه ، ومعاملتهما وحديثهما وما يحيط بهما من الأقارب والأصحاب والخدم وكل من يعود البيت من زوّاره. وقد حُمِّل الإنسان طبيعة التشكل من أوّل عمره ليكونَ بعدُ إنساناً اجتماعياً مقتدراً على التصرّف في نظام الجماعة بما لا يخرجه من جوّها ويقذفه وراء حدودها التي ضربتها عليها الأحوال الاجتماعية التي يتميز بها الجيل من الناس الذين يعاشرهم . وتتصل بهذه الطبيعة من قريبٍ طبيعة أخرى هي التقليد ، ليسوغَ له أن يَشْغف الحياةَ ويتلقّف أسبابَها وطرائقها وأساليبها في مدًى قصير ، فلا ينقطع دون إدراك الطلائع الإنسانية السابقة التي بدَرت أمامَه في الحياة ومارستها وعملت لها وجددت فيها بعضَ ما يمكن تجديده في نظامِ الجماعات . ولا يزال الإنسان — من أول عمره — خاضعاً خضوعاً تاماً لهاتين الطبيعتين ولقانونهما المستبدّ ، حتى يأتي عليه زمان يستطيع أن يتحرر في بعض نواحيه بالخضوع لقانون آخر هو قانون الاستقلال الفكري والعملي الذي تقوم عليه رجولة الإنسان وقوته ، ولكنه مع ذلك يبقى أبداً متلبساً بأسباب القوانين الأولى التي تخضعه في بعض النواحي للتشكل والتقليد في زحمة الجماعات وضغطها وتأثيرها . فهو إذن لا يبلغ مرتبة الاستقلال إلا بعد أن يكون قد قبل من الأشكال – بالضعف والتقليد – ما لا يستطيع أن ينفك منه أو أن يتفصّى من قيوده التي تحبسه على ضروراتها . . .

فمن هنا يَبين مقدار الخطر الذي تنذر به هذه الفترة الأولى من حياة الإنسان ؛ ونحن لا نستطيع أن نحدد عمر هذه الفترة ، ولكنها تستمرُّ على الأقل إلى نهاية رَوْقِ الشباب ما بين العشرين والثلاثين ، بل ربما جاوزت إلى نهاية العمر إذا ما انتكست الحياةُ في الحيّ وصار إلى حيوانية آكلة شاربة غير مفكرة !

فالشاب حين يخرج إلى الحياة العقلية والفكرية تستهويه أسماء المفكرين من الكتاب والشعراء والفلاسفة فتستهيمه وتذهب بهواه وعقله إلى الأخذ عنهم والاقتداء بهم والسير على مناهجهم ، ولا يزال كذلك في تحصيل وجمع وتأثر واتباع حتى يتكوّن له قِوامٌ عقليٌّ يجرّئه على الاستقلال بفكره ورأيه ومذهبه . فالقدوة والأسوة هي مادة الشباب التي يتم بها تكوينه العقليّ على امتداد الزمن وكثرة التحصيل وطول الدُّرْبة ، فإذا كان ذلك كذلك فالكتّاب والشعراء والفلاسفة وأصحاب الرأي وكل من يعرض نتاجه العقلي للشباب ، ويكون عُرضةَ الاقتداء والتأسي والتأثر — يحملون تبعة تكوين العقول الشابة التي ترث علومهم وأفكارهم ثم تستقل بها وبإنتاجها الخاص ، وكذلك يكون هذا الإنتاج الخاصُّ ضارباً بعرق ونسب إلى الأصل الأول الذي استمد منه واتبعه وتلقّى عنه

هذا ... ، فتبعة الكتّاب والأدباء أمانة قد تقلدوها وحملوها ، ثم ارتزقوا منها أيضاً وأكلوا بها وعاشوا في الدنيا الحاضرة بأسبابها ، فهم على اثنتين : على أمانة قد فرض عليهم أن يؤدوها إلى من يخلفهم من الشباب الذي يتبعهم ويتأثر آدابهم، وعلى شكر للمعونة التي يقدمها لهم الجيل الشاب الذي يبذل من ماله ليشتري

منهم ما يكتبون وما يؤلفون وما يقدمون للتاريخ من آثارهم ليكسبوا به خلود الامم وبقاء الذكر

وشبابنا اليوم قد تهدمت عليه الآراء ، وتقسمته المدنية الأوربية الطاغية ، وهو لا يجد عصاماً يعصمه من التدهور في كل هوة تنخسف بين يديه وهو مقبل عليها بشبابه ونشاطه واندفاعه وعنفوان قوته في الشوط الذي يجريه من أشواط حياته. والمدارس في بلادنا لا تكاد تعطيه من الرأى أو من الفن أو من الأدب ما يبلّ أدنى ظمأه إلى شيء من هذه الأشياء ؛ وإذن فليس يجد أمامه إلا المجلات والصحف والكتب التي يقدمها له أصحاب الشهرة من كتّابه الذين تُرفَع له أسماؤهم في كل خاطرة وعند كل نظرة. وهو لا ينى يستوعب منهم أساليبهم وأفكارهم وآراءهم وما يدعونه إليه من موائدهم

فهل ينصف هؤلاء الكتاب هذا الشباب ؟ أتراهم قد عرفوا قدر أنفسهم عند الشباب فعبّأوا له قواهم احتفالاً بشأنه وحرصاً على مصيره الذي هو مصير الأمة ومصير مدنيتها ؟ أنا لا أرى ذلك إلا في القليل ممن عرفهم الشباب وجعلهم نصب عينه ، واتخذ أساليبهم فتنة يهوى إليها

ناقد يتكلم

وأنا أدع أحد الكتاب من إخواننا الشآميين يتحدث عن بعض ما نحن بسبيله ، وهو الأخ « قسطنطين زريق » في كتابه « الوعي القومي » فقد قال في ص (١٦٢ — ١٦٣) :

« لسنا نعيش اليوم في عصر ترف عقلي ورفاهية فكرية . في عصور الترف والرفاهية قد يسمح للكاتب أن يقول : « لي الحق أن أكتب ما أريد وأعبر عما في نفسي كما أشاء » ... إن عصرنا عصر أزمة فكرية وضيق عقلي . وكما أنه لا يسمح للناس في زمن الأزمة المالية أن يبذروا أموالهم في سبيل شهواتهم الخاصة وأمورهم التافهة ، فكذلك يجب ألا يسمح لقادة الفكر في عصر الضيق العقلي والأزمة الفكرية أن يبددوا قواهم على المسائل الطفيفة والأبحاث الجزئية

فعلى كل منا عند ما يهم بكتابة مقال أن يتساءل بصراحة : « إلى ماذا أرمى ؟ أتراني أضيف بمقالي فوضى إلى هذه الفوضى الفكرية التي يتخبط فيها عالمي ، وأقذف بعنصر جديد إلى العناصر التي تتطاحن في محيطي ، فأزيد في بلبلة أمتي واضطرابها الفكري ، أم أنا أعمل لتوجيه قوى هذه الأمة العقلية نحو فكرة صائبة أو عقيدة واضحة ؟

فإذا لم تكن غايته من هذا النوع الأخير ، فخير له وللأمة أن تظل كلماته مدفونة في نفسه ، وأن يبحث له عن طريقة أخرى يخدم بها أمته ولغته » . ا هـ

إن هذه الكلمات القلائل التي ختم بها الأستاذ زريق بحثه عن الأدب الذي يقود الأمة وشبابها إلى إنقاذ المدنية العربية والإسلامية والشرقية من رَدْغة الخبال التي تورط أهلها في أوحالها ومستنقعاتها — حقيقة بأن تكون من « محفوظات » كبار الأدباء الذين يرمون عن أقلامهم آراء وعقائد وأساليب لا يمكن أن تكون مما يحتملها مخلص لأمته ، ينظر إلى المستقبل الذي هو ثمرة الماضي والحاضر ، ونتاج اللّقاح الفكري الذي تتقبله عقول الشباب حين تبدأ تتفتح عن أكمامها لتعمل عملها في إنتاج الثمر إما غضّاً شهياً وإما فجّاً متعفناً موبوءا

هل يمكن ؟

فهل يمكن أن يكون أدباؤنا ممن يتقبل النصح الخالص الذي لا تحمل عليه منفعة أو رياء أو حيلة ؟ وهل يمكن أن يعرف أحدهم أن ليس في الدنيا أحد هو أعلى من أن يتعلم ، ولا أحد أقل من أن يُعلم ؟ وهل يمكن أن تفرَّغ النفوس التي نفختها الكبرياء من الروح النافشة التي لا طائل تحتها ؟

لقد جعلت مقامي في هذا الباب مقام المذكِّر الذي يجب أن يؤدي واجبه لمن يقرأ كلامه ، فأنا لا أستطيع إلا أن أتكلم بكلامي وإن أغضب من لا يرضى إلا بما يرضيه من الملق والدّهان والمماسحة ، وقد انقضت أسابيع طوال من أسابيع الأدب ، وأنا أزداد كل يوم شكاً في مقدرة أدبائنا على الإنتاج الأدبي الرفيع الذي يمكن أن يخلد في تاريخ الأدب ؛ وقد تتبعت أقوال هؤلاء وأساليبهم فلم أجد إلا كل ما يحفزني على المصارحة والنصح وإبداء الرأي مكشوفاً غير مكفّن

وأنا لو كنت أحمل نفسي على تتبع هؤلاء واحداً بعد واحد أنقد أقوالهم على التفصيل دون الجملة ، ثم أقيد ما أريد بالكتابة في هذا الباب من « الرسالة » لما كفاني القدر الذي أكتبه ،

ولما استطعت أن أستوعب الرأي في كل ذلك على أسبوع أسبوع، فلذلك تجنبت جهدي أن أعرض لأشياء كانت تقتضيني أسابيع في تقصيها وتفصيل أجزائها، وبيان مكان الفساد منها، والدلالة على قلة عناية هؤلاء بقرائهم، وصغر احتفالهم بالأدب الذي اتخذوه لهم صناعة عرفوا بها عند الناس، حتى صاروا للشباب أئمة بهم يقتدون. نعم، وكأنهم لا يعرفون أن ما يخرجونه للناس إن هو إلا غذاء جيل من الشبان يأخذ عنهم ويحتذي عليهم، فإن يكن في الذي يأتون به فساد فهو إلى إفساد الشباب الجديد أسرع، وفي طبائعه اللينة أعمل وأوغل؛ فأيما خطأ صغير منهم فهو عدة أخطاء كبار في الذين يلونهم من الشباب المقلد المسكين

إن أمثال الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والدكتور زكي مبارك والأستاذ الزيات وفلان وفلان من كبار الأدباء هم من هذه الأمة الشابة من الناس بمنزلة السراج الذي يضيء للشباب معاني الحياة المظلمة بالجهل، فإذا انقلب السراج فإنما هو الحريق وانتشاره ومعممته ومضنته قوة الشباب بفكين من نار حطمة

الرحلتان

ويذكرني هذا ما يقطع عليّ نهاية الرأي. فقد قرأت أخيراً مقالتين، إحداهما للدكتور طه، والأخرى للأستاذ أحمد أمين، وهما بهذا العنوان «رحلة». وقد تعود الأستاذان أن يتقارضا المقالات منذ أسابيع طويلة، وأكثرا في ذلك إكثاراً لا يمكن أن يُغتفى عنه؛ وكنتُ أحب ألاّ أعرضَ لهُ لعلّه ينتهي إلى نهايته، فإذا هو شيء لا ينقطع. فمن يوم أن كتب الأستاذ أحمد أمين ما كتب وسماه «مدرسة الزوجات» وقارضه الدكتور طه «بمدرسة الأزواج» ثم «مدرسة المروءة» ثم «مدرسة ...» إلى آخر هذه الأشياء، وافتتنا بهذه الطاحون التي تدور على دقيق مطحون قد فُرغ منه — من ذلك اليوم وأنا لا أرى فيما يكتبان إلا استسلاماً للقلم وبدواته وبوادره، واجتلبا في ذلك من الرأي ما لا يستقرّ ولا يتماسكُ

وفي هاتين الرحلتين رأيتُ العجب!! فالدكتور طه مثلاً قد أطال في تحقير مصر والزراية عليها وعلى أرضها بما احتمله عليه الغضب الذي رغب في إنشاء مدرسة له يسميها «مدرسة الغضب» رحل الدكتور طه بالسيارة في الطريق الزراعية فغاظه التراب الذي يثور من حوله فيطلق لسانه بهذه الأسئلة «لماذا ندفع الضرائب؟ وفيم تنفق الدولة أموالنا؟ وماذا تصنع الدولة؟ ولماذا ننشئ الدولة؟»

فليخبرنا الدكتور طه عن السبيل الذي نشّق به الزراية على أرض مصر! ماذا تصنع الدولة في طريق عن جانبيه تلك الأرض الخصبة الواسعة التي تُسْـتَى لتطعم أهل مصر من خيراتها؟ كيف تتقي الدولة مرور الناس والدواب وأرجلهم تحمل أوحال الأرض الخصْبَة فتمرّ بها على الطريق الزراعي الممهَّد، فتأتي الشمسُ المصرية الملتهبة فتجفف الوحل فيثور تراباً؟ إن هذا كلام يقال في البلاد الباردة التي لا تفعل الشمس فيها ما تفعل في أرض مصر الغبراء، هناك في «قرية من قرى السفوا أو الدوفنيه أو الكانتال، على قمة جبل من هذه الجبال التي ألف الدكتور طه الاعتصام بها إذا أقبل الصيف، والتي فارقها في الصيف وقلبه يتقطع حسرات» أو كما قال ... ! إن مثل هذا يجب أن يأتي من آراء أدبائنا، إن لم يكن من أجل أنفسهم فمن أجل مَن يتولاهم من الشباب. وليس أكثر آراء الأستاذ أحمد أمين في هذا المقال بأقل ابتعاداً عن الحق من الذي عرضنا له

هنا!!

والأستاذ أحمد أمين هو الذي حمل على الأدب العربي، وحقر الشعر الجاهلي، ودفع بحجته في وجوب نبذ هذا الأدب وذلك الشعر الجاهلي لأنه كان جناية على أدبنا. وأنا كنت هممت أن أؤدي واجبي للأدب العربي بإظهار فساد هذه الآراء التي لم تنضج ثمراتها، ثم رجعت عن ذلك، رغبة أن يترك مثل هذا الرأي حتى يفني في نفسه، لعلمي — بالاستنتاج — أن الأستاذ ليس أديباً ناقداً، والناقد أديب مضاعَف، وقدرته على الأدب أكبر من قدرة الأديب المحض. وقد أحببت أن أقف على كلمة في مقالة الأستاذ أحمد أمين «رحلة» تدلك على أن رأي الأستاذ في الأدب العربي والشعر الجاهلي رأي لا يؤخذ به، فقد قال: «وهم أولاء رفقة كأنّ أخلاقهم سبكتْ من الذهب المُصفّى، وكأن شمائلهم عصرت من قطر المزن» وهي جملة لا ينطق بها أديب متمكن ألبتة، فما ظنك بأديب ناقد، وأنا لا أعرف كيف يعصر قطر المزن (أي الماء)، وهو لا يمكن أن يُعصر. ونحن لا نشك في أن الذنب ليس للأستاذ الجليل، وإلا فهو ذنب الشيخ اليازجي صاحب «نجعة الرائد، وشرعة الوارد، في المترادف والمتوارد» ... الخ، الذي ذكر هاتين العبارتين بنصهما وترتيبهما



الموسيقى فن وإلهـــام

للأستاذ محمد السيد المويلحي

أكثر الناس فى هذا الزمن يعتقدون أن الموسيقى « علم » كسائر العلوم لها قواعد ومبادئ، ولها مناح ونواح متشعبة متفرقة لا يمكن جمعها وهضمها إلا بالبحث والفحص والدرس، بل هم يعتقدون أكثر من هـذا ؛ يعتقدون أنها تخضع للدأب والكد، وتعطى سرها وسحرها لمن يتعب أكثر من غيره فى طلبها ... !

وليس هذا فى مصر والشرق فحسب ؛ بل فى جميع بقاع العالم، وفى كل البلاد التى بلغت ذروة الحضارة وأدركت نهاية المدنية ... فهناك المدارس المختلفة، والمعاهد المتباينة، والجامعات المختصة فى تدريس كل (مادة) من مواد الموسيقى ؛ وهناك الأساتذة الذين قطعوا كل عمرهم أو جله فى التخصص والانقطاع لتجويد ناحية واحدة يكررونها صباحاً ومساء ... حتى (الصوت) استطاعوا أن يوهموا الناس أن فى مكنتهم السيطرة عليه بل وخلقه خلقاً جديداً ... !

ولـكن هـذا ليس من الواقع فى شيء، فإن كان للموسيقى فروع وأصول، وقواعد ونظريات، فليس معنى هذا أن كل من يلم بها أو يهضمها يسمى (موسيقياً) أو فناناً يعبّر عن خوالج الناس بروحه الشفافة الملهمة

الموسيقى ليست مهنة تُعلم، ولا حرفة تُجاد، ولا صنعة تكتسب، وإنما هى فن وإلهام كما قلت فى رأس هذا الكلام ... هى إلهام لأنها أسمى من أن تخضع لقوى البشر الذى يخضع لها، وهى قوة سحرية روحية تفعل فى النفوس ما لا تفعله قوى الأرض مجتمعة متضامنة ... فهى تُضحك وتُبكى، وتُفرح وتُحزن، وتسعِد وتُؤلم فى لحظات ؛ فهل ثمة قوة إنسانية (مكتسبة) تستطيع أن تملك مثل هذا السحر ؟

إن (العالِم) الذى يقسم لك الموسيقى إلى قواعد غربية وقواعد شرقية وموشحات وأدوار ثم يقول لك إن الموسيقى عبارة عن (دواوين) وأن كل ديوان له درجات أساسية و (نيمات) وعربات و (تيكات) وأن بين اليكاه والمشيران كذا من المسافات، أو أن يقول لك إن الديوان الأول (مثلاً) يحتوى على ثلاثة (تكوك) وسبعة عربات ... الخ ويروح مقارناً بين الموسيقى الغربية، والموسيقى العربية، ويفضل إحداهما على الأخرى ناسياً الذوق، والطبع، والعادة، والبيئة ـ لهو أبعد الناس عن الموسيقى وعن الفن الصحيح وإن كان هو يأبى ذلك . فليس الفن أرقاماً تجمع وتطرح وتحفظ وتعرف وإنما هو قوة هائلة معجزة يسوقها الملهم العبقرى أمواجاً سحرية ولو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولا يعرف النيمات والتيكات والعربات ... ! !

(فوزار) الموسيقار الألمانى الخالد عزف وهو فى طفولته على البيان والكمان والأرغن من غير أن يتعلم درساً واحداً عليها ! ! ولعل القارئ يدهش حينما يعلم أنه كان يسبق الأساتذة

فى فصل « كرم الأخلاق ولؤمها » ص ٧٠ الطبعة الثانية، وهما من حشد الشيخ الذى لا يقوم على أصل من البيان والبلاغة

أجَلْ، إن كثيراً مما وقع فى كتاب الشيخ اليازجىّ — على جلالته — ، إنْ هو إلاّ مجازات واستعاراتٌ كأخيِلة المحموم مادّتها من الهذيانِ اللغوىّ الذى لا يَصِل إلى الحقيقة بأسباب من منطق العقل . والبلاغةُ ليست إلاّ حفظ النسبة بين الحقيقة اللغوية والمجاز البيانى، فكل ما لم يكنْ كذلك من المجاز والاستعارة فهو لَغْوٌ يتشدقُ به من ليس لَهُ طبعٌ أدبىٌّ رفيع . وجهدُ اليازجىّ كان حشداً من كلامِ العصور المتقدمة فى العربية، فأخذ من الجيد والردىء على غير نقد أو تمييز

فكان واجبُ الأستاذ أحمد أمين ـ الزارى على الشعر الجاهلى وواصمه بالجناية على الأدب العربى ـ أن ينقُد مثل هذه العبارات الضعيفة المتهالكة التى لا تتصل بسبب إلى البلاغة العربية على اختلاف عصورها ـ لا أن ينقلها إلى كلامه . وإلا فلينظر الأستاذ إلى أثر هذه المجازات فى بيان الشباب الذى يحبُّه ويعجب بأدبه، ويتلقى كلامه بالإجلال وحب الاقتداء

محمود محمد شاكر

الذين أتى بهم لتعليمه ، وتوجيه عبقريته فى الوجهة الصحيحة (كما كانوا يزعمون) حتى إن أحدهم بكى أمام سحر الطفل ، وقال لوالده :

« ليس عندى ولا عند غيرى ما يجهله ابنك، إنه ابن الموسيقى وقد علمته سرها وسحرها ! » (وبتهوفن) الذى كان يطلق عليه (إله الموسيقى) والذى أرهقه أبوه فى طفولته وظن أن كثرة (التعليم والإرشاد) تنفعه . كان يبكى لأمه ويشكو ظلم هذا الوالد ويقول لها : لقد أوشك أبى أن يبغضنى فى الموسيقى وفى الحياة نفسها ... فلما تركوه وشأنه كان لا يفارق البيان أبداً إلا ليأكل أو لينام ... ! ! وبعدها أخرج آياته الخالدة التى لا تزال إلى اليوم سمواً لا يدانى ...

قد يقول قائل وما فائدة تلك المدارس إذن ، وما فائدة هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم للتدريس وجعلوا من أنفسهم حفظة لقواعد الموسيقى وعلومها ...؟

فائدتهم التوجيه والتهذيب فقط . أما الخلق والابتكار والقدرة والسيطرة والتحكم فى ميدان العواطف ، أما التغلغل فى الأعماق والسريان فى الدم والتلاعب بالأرواح ، فهذا كله لا يعرف العلم ، ولا يخضع للعلماء ... !

إن الذى يغنى أو يعزف لا يصف النظريات ، ولا ينتقل من نغم إلى نغم مرسوم موضوع ، وإنما هو ينطلق بروحه فتتحكم فى لسانه أو بنانه وتروح مستولية على خلجات المستمعين، وطوبى لمن يأمره فنه أولاً قبل أن يأمر غيره لأنه يفعل العجب ... ولا يهمه بعد ذلك أخرج على (الوحدة) أم ظل محافظاً عليها، ولعل من هذا الباب قصة المرحوم (عبدالحى حلمى) الذى كان يشدو ليلة كبلبل نشوان والناس من حوله سكارى من خمر الطرب فخرج على (الوحدة) فأرشده (عازف القانون) فزجره قائلاً : خلِّ الوحدة لك ولأمثالك ، إننى أغنى لهؤلاء الذين يفهمون الموسيقى !

ولهذا لا يمكن لمطرب يغنى لحن غيره ، ويترجم إحساس غيره ، أن يصل إلى درجة مطرب يلحن لنفسه ويترجم إحساسه مهما أوتى من حسن الصوت وجمال الإلقاء ، لأنه يكون ممثلاً وحاكياً، بل يكون كاذباً فى رسالته، والموسيقى لا تعرف الكذب لأنها هى نفسها رسالة صادقة !

رب قارئ يقول إنه يسمع بعض المطربين والمطربات من الذين يغنون تلحينات غيرهم قد وصلوا إلى مرتبة سامية لا تدانى، حتى من الذين يلحنون لأنفسهم ؟ وردى على هذا الاعتراض أن القارئ سيقتنع إذا عرف أن هؤلاء المطربات والمطربين لا ينتزعون الإعجاب ولا يسيطرون بسحر فنهم وصوتهم إلا إذا انطلقوا من جو تلحين الموضوع وتصرفوا من عندهم التصرف الذى يمليه إحساسهم ...

إن بعضنا يسمع (أم كلثوم) مثلاً وهى تغنى قطعة موضوعة مرسومة فيظل هادئاً أو مشجماً حتى إذا تصرفت وترجمت إحساسها هاج وماج وفقد سلطانه على نفسه !

وعبد الوهاب ، هناك من هو ألمع منه صوتاً وأصفى نبرة ومع ذلك لا يقاس إليه ، لِمَ ؟ لأن عبد الوهاب لا يترجم للناس إلا إحساسه ، ولا يصور لهم إلا روحه ...

ومالنا نذهب بعيداً؟ إن القصبجى والسنباطى وزكريا وهاشم ومحمود صبح ، وهم أئمة التلحين فى مصر والشرق قاطبة ، لو غنوا تلحيناتهم بأنفسهم — وبعضهم قبيح الصوت — لأدوها أحسن من غيرهم ولو كان أجمل صوتاً وأقوى أداء، وليس هذا بعجيب أو غريب ، فلن يكون المقلِّد كالمقلَّد أبداً ... !

* * *

لنرجع إلى الفن الملهم والفن المكتسب ...

فى الشرق والغرب بعض العلماء الذين تخصصوا فى دراسة النظريات والقواعد الموسيقية فألموا بها إلماماً تاماً ، وأصبحوا (علماء) ينتفع بعلمهم وطرقهم فى دراسة الموسيقى الذين يعتقدون أن الموسيقى تخضع للدرس والبحث كما قلنا، ومع ذلك ترى هؤلاء العلماء يتساوون مع الجميع — إلا الموهوبين — فى العجز عن فهم الموسيقى الحقة وعدم القدرة على الوصول إليها ! لأنهم يصفون الطرق والمسالك التى تؤدى إليها ويزعمون أن الإنسان إذا فحص وصل، فإذا سألتهم ولِمَ لم تصلوا أنتم بعد طول بحثكم وفحصكم إلى مرتبة الملهم العبقرى الذى لم يقطع زهرة عمره فى الجرى وراء النظرية والقاعدة ؟ قلبوا شفاههم ، ولووا رءوسهم ، ورأيتهم يستكبرون ويتعاظمون ، ويصفونك مع الملهمين بالجهل الفاضح والعجز الواضح ... ! ! ولعلهم معذورون ، لأنهم يعتقدون أن الفن

يخضع للعلم ، وكذلك تراهم - فى كل عصر - ينكرون ويحاربون نتاج المباقرة المُلهمين ... وكم شهدت مصر - أيام سيد درويش - من صنوف الدس والتحقير لفن هذا العبقرى الأوحد الذى ذاق الأمرين من رجال معهد الموسيقى ، لا لشىء ، إلا لأنه فى عرفهم من الجاهلين ، نعم ، كم شاهدت مصر — ولا تزال — من صنوف الاضطهاد لفن سيد من هؤلاء الناس الذين لو عاشوا ألف سنة ما استطاعوا أن يصلوا — مجتمعين — إلى فهم قطعة واحدة من قطعه ... ! !

لم يعرف عن سيد أنه كان عالماً يفكر قبل أن يلحن ليخرج تلحينه من نغمة — كذا — كما يريد المغنى أو المغنية ، بل كان ينتزع اللحن الخالد من صميم الحياة ، ومن صميم البيئة المصرية، دون أن يزن أو يقيس بمعيار النظريات ومقياس القواعد والدُّم ، والتك ، والوحدة . ومع ذلك ، فقد كانت تلحيناته سماوية خالدة يُضرب بها المثل فى الربط والضبط ... ! !

* * *

وقبل أن أنتهى ، أحب أن أقول : إن الموسيقى فن مُلهم أكثر منها علماً مكتسباً ، وهى وحى سماوى يهبط من عـل فينقله ويترجمه الملهمون لغة تفهمها القلوب والأرواح ... لغة لا تخضع للقواعد ولا للنظريات ، لأنها ليست من صنع البشر ... !

نعم ، إننى أعتقد أن مرتبة «الفنان» أسمى من مرتبة البشر، لأن الله اصطفاه بأنبل ما فى الحياة وأطهر ما فى الوجود ... وهو « الفن » ، بل وأعتقد أكثر من هذا ، أعتقد أن الله اصطفاه « بنفسية » لا تخضع لعوامل الشر ، ولا تنحنى أمام مغريات الشيطان ، فالفنان لا يعرف الذل ولا الحقد ، ولا المال ولا الجاه ، لأنه يعيش كما تريد له الحياة أن يعيش ، وينتج كما يريد له الله ، لا كما يريد له العلم والتعليم ... ! !

محمد السيد المويلحى



في ظلمة الليـــل

أسطورة فرعونية

« تحية للأستاذ يحيى حقي »

للأستاذ محمود بك تيمور

في أصيل يوم من الأيام ، كان « الشيخ حابي » في بستانه الصغير، أمام داره المتواضعة ، يتعهد نُخيلاته ويستريض . فاسترعى انتباهه خفق أقدام ، فالتفت نحو مصدر الصوت ، فإذا بفتى يسير صوبه ، وهو يدفع — في جهد — قدميه المتعبتين ، وقد علاه الغبار ، فاختفت ملامحه ؛ بيد أن الناظر إليه يستطيع أن يلمح في عينيه على الفور حيرة الغريب . وكان يحمل في يده صرة ؛ نخف الشيخ للقائه ، وما إن اقترب منه ، حتى سمع الفتى يقول في صوت الهامس :

— الشيخ حابي ؟

— هأنذا ... ما مطلبك ؟

ووجد « حابي » الفتى يتخاذل أمامه ، فأسرع إليه ، وأسنده إلى صدره ، محيطاً إياه بذراعيه ، وقال له :

— أمريض أنت ؟

— بل جائع !

وسار به « حابي » إلى داره في رفق ، وأجلسه بجوار الباب على مصطبة عارية ، وتركه برهة ... ثم عاد إليه بإبريق مملوء باللبن ، فأخذ يعب منه الغريب ، حتى شبع ... وبعد أن تنفس طويلاً ، تمتم بكلمات الشكر لمضيفه ، ثم أطرق وقتاً ... وأخيراً ، رفع رأسه ، وسرّح بصره في الشيخ ، والكلمات تتراءى حيرى على شفتيه ... وابتسم الشيخ ابتسامة تنطوي على عطف وطيبة ، وقال :

تكلم يا بني ، ولا تخش بأساً ... ما حاجتك ؟ إن حابي لا يرد حاجة الغريب !

فأمسك الفتى بيد الشيخ، وضغطها في انفعال، وقال :

— لقد حدثوني أنك تأتي بالمعجزات ، فسعيت إليك أطلب معجزة ! ...

فتأمل الشيخ وجه فتاه طويلاً ، يحاول أن يستكنه ما خلف تلك الصفحة المتربة المتعبة من خفيّة نفسه ، وقال :

— معجزة ؟ ... لستُ كاهناً يا بني !

— أنت أعظم من كاهن ...

— أفصح عن غرضك !

— إن قوة تعاويذك وعقاقيرك يا أبت مستمدة من روح الآلهة ...

— أنا حكيم زاهد ، قد أنجح في مداواة النفوس وتطبيب الأجسام ...

وحدق الفتى في الشيخ بعيون جاحظة ، ثم هبط أمامه ، وقال وقد تشبث بثوبه :

— وحق إيزيس لتنتزعن نفسي من بين جوانحي ، ولتلقين بها بعيداً عن جسدي !

— هدىءْ من روعك ... ...

— إني أمقت هـذه النفس الخاملة الميتة ... لتخلقني خلقاً جديداً ، ولتجعلن مني رجلاً ذا بأس واقتدار !

وجعل الشيخ يلاطف رأس الفتى ، ثم أنهضه في وداعة ، وأجلسه بجواره . وبعد حين ، قال له في هدوء ورزانة :

اروِ لي قصتك يا بني ... إني مصغ إليك في انتباه !

ودعم الفتى وجهه براحتيه ، وراح يرسل الطرف أمامه في ذلك الفضاء العظيم ، حيث يبسط الغسق على الكون غلالته السوداء . وأنصت برهة إلى ما يحيط به من صمت شامل. ثم تكلم فإذا به يقول:

أنا راموسي ... ولكن ماذا يهمك من اسمي ؟ إن راموسي نكرة لا يحس وجوده أحد

— تكلم !

— إني أسكن على مسيرة شهر من هنا ...

— في بلدة رنسي ؟

— نعم !

— ذات المعابد الأربعة ، والمسلات الخمس ؟ !

فواصل « راموسى » حديثه ؛ وقد رق صوته وضعف :

وحيث تسكن الأميرة أشمس ... !

وطأطأ رأسه حيناً ، ثم رفع عينه بغتة ، وسددها فى وجه « حابى » وقال فى صوت غير متساوق النبرات :

أريد أن أكون عظيما ... أريد أن أكون مثريا ... تزخر خزائنى بالأموال ... أريد ! ...

فابتسم الشيخ فى هدوء ، وقاطعه قائلاً :

إنه ليس بالطلب المستحيل ...

فاستنار وجه الشاب بلمعة متلألئة ... وقال :

إذاً ستأتى لى بمعجزة !

— إن ما تسميه أنت معجزة يا بنى ، أسميه أنا أمراً قد يستعصى على بعض الناس ، ولكنه فى مقدور آخرين !

فهوى « راموسى » على يدى الشيخ ، وانهال عليهما تقبيلاً ، وهو يقول :

شكراً شكراً ، سأذكر لك ذلك الجميل ماحييت ، وسأعوضك عنه أضعافاً مضاعفة ...

ثم رفع رأسه ، وقال :

أما الآن ، فليس لى ما أقدمه لك سوى ...

وتعثر لسانه بالكلمات ، فسكت ، وأشار إلى الصرة التى بجواره ، وفتحها بيد راعشة أمام « حابى » فنظر فيها الشيخ ، فإذا بخليط من قطع المعادن ، بينها شىء قليل من الفضة والذهب . وتابع « راموسى » كلامه وقد غض من بصره :

— هى كل ما تبقى لى مما أملك !

— أبقها لك ...

— إنها قليلة ... أعرف ذلك !

— كلا ، فهى كثيرة إذا كانت منك . وهذا يكفى ... ولكننى لست فى حاجة إلى عطاء الناس ...

— أبت !

ونهض « حابى » فى هدوء وهو يقول :

— ألا ترى يا بنى أن الليل قد أقبل يحمل فى أعطافه برد المساء ، وأنا كما ترى شيخ ...

— هيا ...

* * *

وتركا المصطبة ، ودخلا قاعة غير رحيبة ، بسقف منخفض تكاد تكون عارية إلا من حصير وغطاء

وأشعل « حابى » مصباحه الزيتى ، ثم جلس وأراح ظهره على الجدار وقد طوى يديه إلى صدره . وجلس « راموسى » قبالته متربعاً ، لا يفصله عن الشيخ إلا المصباح ...

وانقضت برهة لم يتكلم فيها أحد منهما

ثم سمع « حابى » يردد فى صوته الرزين :

— إنى مصغ إليك !

فلم يحول الفتى عينيه عن المصباح وقال :

— كيف أبدأ لك قصتى ... حقاً إنه لجنون ما فكرت فيه ... غير أنى لست نادماً على شىء ... لقد كنت أحيا يا أبت مغتبطاً ، أخرج من دارى المهدمة إلى النهر أرتاض على شاطئه حيث بساتين الأمراء ، أقضى اليوم كله متنقلاً بينها ، أستمتع بمرأى الرياحين ، وأستنشق عرفها الزكى . فإذا تعبت استرحت بجوار الماء وأخرجت نايى أناجيه ويناجينى !

— أموسيقى أنت ؟

— لم أجرب أن أسفر إلا لنفسى ...

وأخرج « راموسى » من ثنايا ثيابه نايا من غاب ساذج المظهر ، وأراه الشيخ قائلاً :

— إنه زميلى الذى لا يفارقنى أبداً . . . زميلى المطلع على سرى ، العالم بما يجيش فى قلبى من أمان وأطماع !

— أمان وأطماع قد تبدو لك بعيدة التحقيق !

— إننى أضعها بين يديك ، فافعل بها ما أنت صانع !

— ألم تكن راضياً عن حياتك الهادئة ؟

— كل الرضا !

— إذاً « هى » التى غيرت حالك ...

— من هى ؟

— تلك التى ذكرت اسمها ، مشرّفاً بذكره مدينة رنسى !

— نعم ، هى أشمس ، أميرة الأميرات ، وأقربهن صلة بفرعون الأعلى !

— أتمّ حديثك ...

— رأيتها يوماً تتنزه فى بستانها ، فسحرنى لأول نظرة جمالها ؛ رأيتها ترتاد الخمائل فى حاشيتها ، فجعلت أرقبها خلف دَغَل من الأشجار ، وأضاءت نفسى على التوّ شمس وهاجة أنارت لى دنيا عظيمة كانت مختفية عنى . وإذا بى أقطع على نفسى عهداً بأنها لن تكون لسواى ... ولما عدت إلى دارى ، وراجعت هَمسات ضميرى ، هزئتُ بنفسى ، وكلى سخط وألم . ولكن عهدى ما زال ثابتاً على الرغم من كل شىء ، لا يتقهقر ولا يتزايل ؛ بل يتقدم فى جُرأة وإقدام ... ولكن كيف أنفّذ ذلك العهد ؟ هذا ما كان يحيرنى ويحز فى قلبى . منذ ذلك اليوم جملت طريقى إلى بستانها لا أعرف سواه ، أقضى على مقربة منه يومى ، أراها ولا ترانى . فإذا ما صعدتْ فى قصرها انتحيتُ نحو الشاطئ ، وتخيّرت مكاناً ظليلاً ، وبثثت شكواى للناى ، فكنت أسمعه أحياناً يهمس لى : « لماذا لا تحاول التقرب إليها ؟ ... ... لماذا لا تكشف لها عن كوامن صدرك ؟ ... »

— ولماذا لم تَصدَع بما أوحى لك به نايك ؟

— أتريد منى أن أستمع لذلك الساذَج الغرير ؟ ألم أقل لك من هى ؟ إن فيها من دم الآلهة يا أبت ! ... وكنا نعلم أن عظاماً تقدموا إليها بقلوبهم ، فردّتهم خائبين ... لقد أمضيتُ يا أبتِ الليالى الطوالَ أفكر فى مصيرى معها ... لا بد أن تقع معجزة تحولنى من صعلوك بائس إلى أمير يفوق جميع الأمراء ، برضاه فرعون ورعاه إيزيس ... وكان أن اشتد بى الضيق يوماً ، فجريت صوب النهر ، وهممت أن ألقى بنفسى إلى التماسيح ... فى تلك الساعة الفاصلة ، سمعت هاتفاً يقول لى : « اذهب إلى حابى الحكيم ، فعنده تتم المعجزة »

فتمتم « الشيخ حابى » :

— أقال لك الهاتف ذلك ؟

— قسماً بإيزيس ربة الأرباب ، لقد سمعت صوته واضحاً يرن فى أذنى . وكانت التماسيح قد خرجت برءوسها تنظر إلى متنمرة فوجدتُنى فى لحظة أقفز متراجعاً عن النهر ، وانطلقتُ أعدو ... أكنتُ أعدو حقا ؟ لا أدرى ! كنتُ أحِسُّ أنى محمول بقوة خارقة غير منظورة ... وفى الغد بعتُ ما أملك ، واستصفيتُ مالى ، وحملت زادى ، وسرت وَوِجْهتى دارك !

فأمسك « حابى » بيدىْ « راموسى » وضغطهما وقال :

— ستتم المعجزة يا ولدى ، فاعتمد على

— إذاً ستجعلنى أمير الأمراء ؟ وإذاً ستجعل من أَشْمِس زوجة لى ؟

— إن علمى لا يتطاول إلى مثل هذه الأمور !

— كيف ؟

— كل ما أقدر عليه أن أعمل على تغيير نفسيتك ...

— أوضح يا أبت !

— سيتغيّر فيك كل شىء ، شمائلك الأصيلة ستنقلب إلى ضدها ، الخمول سيغدو نشاطاً متأججاً ، والقناعة ستكون طمعاً صاخباً ، والرحمة ستفسح مكانها للقسوة والعنف ... ستكون حياتك يا راموسى كالبركان الفوّار ، لا يخبو له لهب ، ولا يسكن له زئير !

فطأطأ « راموسى » رأسه ، وقال :

— أبتِ !

— ليس ثَمّةَ طريق ينيلك ما تطلب من ثروة وجاه ومجد ، إلا هذا الطريق !

وصمت « راموسى » فترة ، ورأسه منحن على صدره ، وبغتة رفع وجهه إلى « حابى » وقال :

— ولكن حبى ، حبى ... أيعتريه تغيّر ؟

— حبك باق ببقاء الروح الخالدة ... ولكن !

— ماذا ؟

— أواثق أنك ستكون سعيداً بنفسك الجديدة ، بعد أن تتم المعجزة ؟ وأنه لن يطول بك الحنين إلى نفسك الأولى ؟

— ... افعل بى ما تريد !

***

ودارت عجلة الحياة : الأيام تلو الأيام ، والأشهر إثر الأشهر ...

وكان ملك الغرب قد دفعه الطمع إلى امتلاك مصر ، فسيّر إليها الجيوش الكثيفة ؛ فغزت المناطق الشمالية فى غير عُسر ، ثم اندفعت فى طريقها تكتسح أمامها جند الوطن . ولم يُجْدِ تعيين القائد الكبير « رودا » أميراً على الجيش الذى أرسله فرعون لإنقاذ البلاد ... إذ أصيب « رودا » بهزيمة نكراء ،

وقتل فى المعركة ، وكاد الجيش يتفكك ويندثر ، لولا أن قيض الله له شاباً من بين المحاربين تزعمه ، فأخذ يجمع شمله ، ويبث فيه روحاً جديداً ؛ فلم ينقض وقت طويل حتى انقلبت الهزيمة إلى هجوم ، ثم انتهى الهجوم إلى مطاردة للعدو ، فاكتساح كامل له . وأصبح هذا الشاب قائداً للجيش ، ولقب نفسه بالأمير الأسود ، إذ كان يرتدى السواد دائماً . . . ولم يقتصر هذا الأمير على تطهير البلاد من جيش العدو ، بل تابع زحفه فى جرأة غريبة ، ففتح « مملكة الغرب » بأسرها ، وأخضعها لسلطان مصر ، فصارت تابعة لها . . .

***

كانت « رنى » المدينة ذات أربعة المعابد وخمس السلات حاضرة مصر الثانيـة ، تحتفل احتفالاً شائقاً بقدوم الجيش المنتصر ، وعلى رأسه أميره الأسود ، فقد عاد محمّلاً بأسلاب وغنائم لم يأت بها قائد منتصر من قبل . وكان موكبه حافلاً بالأسرى العظام من الأمراء والحكام وسراة الدولة المغلوبة . أما بقية الأسرى من الدهماء ، فقد اكتفى بقطع أيديهم ، وأطلق سراحهم ، حتى لا يعطلوا سير الموكب بكثرة عددهم . ولكنه احتفظ بتلك الأيدى ، فحملها معه ليقدمها إلى فرعون ، رمزاً للخضوع والطاعة !

وتمت مراسم الاستقبال فى عظمة وفخامة جديرتين بالقائد العظيم والفاتح الكبير ! ... ولكن الأميرة « أشمس » أولى أميرات البيت الفرعونى ، تخلفت عن حضور الاحتفال ، وأرسلت تعتذر لفرعون . وكان فرعون يعرف شذوذ طباعها واعتزالها العالم ، فقبل عذرها على مضض . ولكن رسول الأمير الأسود جاءها يحمل من الأمير نفسه رغبته فى زيارتها قبل الغروب لأمر ذى بال ؛ فلم تجد مخلصاً من استقباله ، وأمرت أن يعدوا القصر لهذا القدوم

وأخذ الأتباع يعملون بجد واهتمام فى تزيين القصر ، فما كادت الشمس تؤذن بالغروب حتى برز القصر فى غبشة الظلام كأنه قطعة من لؤلؤ تتألق ؛ وانتشر الطيب الذكى فى أرجائه ، فكأنه روضة فواحة من الأزاهر النضرة

وجاء الأمير فى الموعد فى حفل من قواده ، ودخل القصر وهو يضرب بقدميه الصلبتين الأرض ضربات شديدة تردد صداها جوانب المكان ، ويلتفت يمنة ويسرة بوجهه الرائع الذى تنم كل لمحة من لمحاته على رجولة قوية قاسية . وكانت لعيونه الواسعة إشعاعات قوية باهرة لا تقوى عين أخرى على تحديها ...

وما إن دخل البهو الكبير ، ورأى الأميرة واقفة فى صدره تحف بها وصيفاتها ، حتى توقف بغتة ، واتسعت حدقتا عينيه ، وتفتح وجهه فى لحظة بنور متألق تشيع فيه الأحلام . وأمسك بيد رفيق له بجانبه ، وشد عليها ؛ وطالت وقفته على هذه الحال والناس من حوله صامتون . وأخيراً همس رفيقه فى أذنه :

— مولاى ! إن الأميرة تنتظرك ... تقدم !

وتقدم الأمير الأسود بخطوات لم تردد صداها جوانب المكان هذه المرة ، وركع أمامها ركعة المتبتل أمام ربه فأنهضته ، وهى تقول :

نحن الذين يجب أن نركع أمام المنقذ العظيم !

ورفع وجهه إليها ، وقال فى صوت خفيض :

عفواً مولاتى ! . . . أمام هذا الجمال الإلهى الذى هو قبسة من رع ، ونفحة من إزيس ، يستشعر القائد العظيم ضآلة نفسه وتفاهة مجده !

— سيدى !

— ليس ثمة عظيم أمامك يا مولاتى ! ... كلنا من أتباعك المخلصين !

وتهامس الناس فيما بينهم دهشين حيارى :

لم يُشاهد الأمير على هذه الصورة ، حتى فى حضرة فرعون الأعلى !

وبدأت الجموع تتفرق والمكان يخلو للضيف وربة القصر ، وأخذ القائد يروى وقائعه ، ويعدد أسلابه ، ويذكر ما ناله من مال وضياع تتعادل معها أموال فرعون العظيم . وختم حديثه قائلاً :

إن الأميرة لتعلم أن فرعون بلا عقب ، وهو الآن شيخ مُثقل بالمرض ، وقد طالبته الكهنة بتبنى أمير يجعله ولياً للعهد، أمير أهل لهذا المنصب الخطير ...

— وهل وقع اختيار الملك على هذا المحظوظ ؟

فابتسم الأمير ابتسامة ذات معنى ، وقال :

لقد أتم اختياره سراً ، وسيعلنه غداً فى الهيكل الكبير !

وصمتت « أشمس » وهى تتفحص الأمير طويلاً .. ثم انحنت فى خشوع وهى تقول :

يسعدنى أن أكون أول من يقدم طاعته لصاحب التاجين، ووريث ملك الفراعنة العظيم!

فأمسك الأمير بيدها، وقال:

هذا المـلك العظيم، وهذا النصر الباهر، وهذه الأموال التى لا يستطيع أن يحصيها أحد. كل ما كسبته وما سأكسبه، أضعه تحت قدميك أنت يا أميرتى، ويا مولاتى! ... أقدم لك كل هذا مقابل شىء واحد منك ...

فأسبلت الأميرة جفنيها، وتابع الأمير حديثه فى لهجة مشبوبة:

كلمة منك يا أتمس تجعل هـذا الوادى الفسيح بسكانه وكنوزه، هذا الملك الضخم طوع يديك ... قولى كلمة الرضا، ثم مُرِى، فلن يعصى لك أحد أمراً ...

ونهضت الأميرة، وهى تقولى فى صوت حبيس:

ألا نذهب إلى الشرفة فناتى نظرة على البستان؟

فأجابها الأمير، وهو حائر:

كما تريدين!

وذهبا إلى الشرفة، وأطالت الأميرة النظر إلى الحديقة، وهى تُصعّد بصرها فى أشجارها وأزاهيرها، ثم قالت:

أيسمح لى الأمير أن أقص عليه قصة صغيرة؟

فأجابها، وهو يزداد عجبا:

إنى مصغ إليك يا أميرة!

— كان فى الزمان الغابر فتاة من الأثرياء، من أسرة رفيعة النسب؛ تحيا ناعمة البال فى قصرها ذى البستان الكبير حياة ترف ورغد، ولم يكن لها مطمع تصبو إليه إلا العثور على أليف تنعم معه بحب ووفاء، شأنها فى ذلك شأن كل فتاة. وحج إلى قصرها أعلى الأمراء شأناً، وأكثرهم جمالاً وثراء يطلبونها للزواج فردتهم بلا أمل ...

— ولم ذلك!

— لأنها كانت مخدوعة بنفسها، مغرورة بجمالها، فلم يَرُقها واحد من هؤلاء الأمراء!

— ومَن كانت تنتظر أن يتقدم لها بعد هؤلاء، وهم صفوة البـلد ...؟!

وتريثت الأميرة فى إجابتها، وهى تسرّح طرفها فى الأفق حيث الظلام مقبل فى وحشته وصمته وأسراره ... وقالت:

— هى نفسها لم تكن تدرى، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تنتظر وتؤمّل!

— وهل طال انتظارها؟

— كلا!

— إذاً عثرت على ضالتها؟!

— نعم أيها الأمير ...

— أكان قائداً غازياً؟

— كلا!

— أوزير خطير هو؟

— كلا!

— إذاً هو ملك من نسل الآلهة!

— ولا هذا أيضاً ...

— من يكون؟!

— وأرسلت الأميرة تنهدة خفيفة وقالت فى صوت الهامس:

— شاب رقيق الحال، مرهف الشعور!

— وما مهنته؟

— ليست له مهنة، كان يقضى أيامه يجوب البساتين، ويتنزه على ضفاف الأنهار، يستمتع بمحاسن الطبيعة!

— إنها حياة أقرب إلى التّبطُّل والصعلكة ...

فتمتمت الأميرة بلهجة الحالم، وهى تستقبل بعينيها كتائب الظلام المكدس بعضها فوق بعض:

— قد يكون ذلك، ولكنه الوحيد الذى استطاع أن يصهر كبرياءها، ويحطم تاج غرورها!

فندّت عن الأمير صرخة:

— هو؟! ... أيمكن ذلك؟

— أجل لقد أحبته الفتاة، أحبت فيه ذلك الشاعر المرهف الحس، ينشدها أعذب ألحانه وأرقها!

— أكان شاعراً ينظم لها القصائد، وينشدها إياها؟

— كان ينظم قصائده بلا كلام، وينشدها إياها من مزماره الرخيم! ...

فأصابت الأمير هزة شديدة، وقال فى صوت جياش:

— وهل تقابلا؟

— كلا ، فهي لم تره ، بل أغرمت به على البعد ! ...

ولا تدرى أرآها ، أم لا ؟ !

— لا ريب فى أنه رآها ...

— ليس ذلك مؤكداً ، فعيون هذا الشاعر الجوال ، كانت أقصر من أن تخترق خمائل البستان أو جدران القصر ، لتكشف عن الفتاة وتلتقى بعيونها !

— يا للفتى البائس ! . . . لو علم أنها تضمر له هذا الحب لطار إليها ، وارتمى تحت قدميها يلثمها فى عبادة ...

— من يدرى أيها الأمير ؟ ... إنه فتى غريب الأطوار ، يعيش وفق هواه ... قد يرفض حبها لو تقدمت به إليه ! !

— محال !

— ولـكنه لو كان يعلم كم أحبته هذه الفتاة ، وكيف أنها ترضى أن تعيش معه تقاسمه حياته الطليقة فى دنياه الرحبة الوضاءة لقبل منها هذا الحب !

وتمتم الأمير بكلمات متقطعة ، وقد شد بيده على حاجز الشرفة حتى كادت أصابعه تدمى ، وتابعت الأميرة حديثها :

— لقد برمت الفتاة بحياة الثروة والجاه التى تحياها ، وتوحت أمامها بشاعتها ، وأحست ثقلها المرهق يحبس أنفاسها ، فرغبت أن تفر من بيتها ، تستبـدل الـكوخ الساذج الهادئ بالقصر المنيف الصاخب ، والرداء الخفيف المزين بالأزهار بالثوب الثمين اللامع بأوصال اللآلئ ... لقد برمت بكل شىء يحوطها ، واشتدت بها الرغبة أن تهرب ، فتلحق بشاعرها تقضى حياتها فى رجى مزماره ! !

— ولـكنها لم تفعل !

— لقد كادت ... ولـكن الفتى اختفى فجأة !

— أهرب ؟

— إن الناس يرجفون بموته ، فقد تكون التماسيح أكلته ... ومن ثم أسدلت الفتاة على حياتها ستراً غليظاً يحجبها عن العالم أجمع !

— قد تسلوه يوماً ، فترضى الزواج بأمير كبير !

— إن القصة تحدثنا أن الفتاة قضت فى عزلتها عامين ، وهى لم تتغير ... إنها لا تطلب الأمير ، ولن تطلبه ، بل ستحيا مترقبة شاعرها الفقير كما هو بردائه الساذج ، وقلبه الكبير . . . لن تستبدل به أحداً مهما يعظم قدره ويتسع ماله !

— وهنا تنتهى القصة ... أليس كذلك ؟

— تكاد تنتهى ، والبقية فى كلتين ، أتريد أن أتمها لك ؟

فقال الأمير ، وهو يضغط كلماته فى حسرة مكتومة :

— إذا رغبت ، أتممتها أنا لك !

فتمايلت الأميرة ، وعرضت على وجهها ابتسامة ، وقالت :

— كيف ؟ أو تعرفها ؟

فقال فى شىء من السهوم :

— إن حذقك فى رواية القصة ، قد جعلنى أحزر خاتمتها !

وراح الأمير يحد بصره فى نجوم الليل البعيدة ، كأنه يريد أن يستلهم منها كلمة نصح أو هداية ... ولـكن لم تطل وقفته على هذه الصورة ، فانحنى أمام الأميرة ، وقال :

— لن أنسى ما حييت حسن احتفائك بى !

وقبل يدها قبلة طويلة عميقة ، ثم ترك المكان لا يلوى على شىء ...

واستقل على الفور عجلته الحربية ، واستأذن رفاقه !

وانطلقت به العربة ، هائمة فى أديم الصحراء ، تشق أمامها سجف الظلام شقاً ! ...

محمود تيمور



مطلب عادل

[لشاعر الهند « رابندرانات تاجور »]

إن علاقة الإنجليز بتاريخ الهند تدعو إلى الإعجاب الكثير . فقد توطدت بيننا وبينهم وشائج القربى ، باعتبارهم رسل الثقافة الأوربية ، ونالوا من نفوسنا ما لم تنله أمة من الأمم .

وإذا كانت المزنة تحمل إلى الأرض ماء السماء من آفاق بعيدة المدى ، فيتغلغل فى أعماقها ويسرى إلى أحشائها ، فيخرج منها نباتاً وأزهاراً تسر الناظرين ، فإن سيل الفكر والثقافة الأوربية قد انحدر إلينا ، فأنبت فى قلوبنا حياة جديدة ، وأيقظ نفوسنا من سبات طالت عليه السنون .

بدأنا نتذوق الأدب الإنجليزى ، ولم تكن فائدته لنا مقصورة على الفن الجديد الذى يفيض به ، أو المتعة النفسية التى يهديها إلينا ، فقد حرك قلوبنا إلى إصلاح كثير من أخطاء الإنسان نحو أخيه الإنسان، فدقت لأسماعنا أجراس رنانة الصوت تعلن تحطيم أغلال الإنسانية المعذبة ، وخالجت أذهاننا حماسة نحو النضال فى سبيل مكافحة الاتجار بالإنسان .

لقد نيفت على السبعين من عمرى ، وكان عهدى بذلك أول العصر من تاريخنا الذى يجدر بى أن أسميه العصر الأوربى ، فى منتصف القرن التاسع عشر وهو العصر الفكتورى الذى يسخر منه شباب اليوم . لم تكن أوربا فى ذلك العهد قد فقدت عقيدتها فى حرية الفكر وحقوق الفرد التى حاربت من أجلها فى عصور الإصلاح والثورة الفرنسية ، وكان الأخ فى أمريكا يحارب أخاه لمكافحة الاتجار بالرقيق . ويصح للعصر الفيكتورى أن يفخر بأنه العصر الذى سمت فيه كلمات مازينى النبيلة وصيحات غاريبلدى الجريئة ، وأنه العصر الذى ارتفع فيه صوت غلادستون مدوياً كالرعد فى أنحاء العالم المتمدن ، بالحملة على أعمال سلطان تركيا . وقد بدأنا نحن كذلك فى الهند نفكر فى استقلالنا فى ذلك العهد . لم تكن حركتنا تخلو من العداء للانجليز . ولكنا على الرغم من ذلك كنا على ثقة تامة من الخلق الإنجليزى . فقويت عزيمتنا على المطالبة بمشاركة بريطانيا باسم الإنسانية فى الإدارة الهندية .

لقد رأينا الأمم الشرقية تسير قدماً نحو عصر جديد، فأملنا أن نندمج فى صفوفهم لنتبوأ مركزنا من التاريخ، ولكن كم كان ذعرنا شديداً حينما رأينا عجلة التقدم تقف بنا عن المسير. إن الدين الثقيل الذى تطالبنا به إدارة السواحل يثقل كاهلنا ويحرمنا نحن الفقراء المفلسين نصيبنا الضئيل من الحياة، فلا تستطيع أمتنا البائسة أن تزحزح عنها أثقال الهمجية التى ترزح على صدرها كالصخرة الشماء ، فتخنق أنفاسها حتى الممات

مالطة البلطيق

[ملخصة عن « لابرس دى تونسا »]

إن السر فى حملة السوفييت على فنلندا هو رغبتها فى الحصول على مركز وطيد فى الأرخبيل الواقع بين فنلندا والسويد .

وقد يجهل الكثير من سكان أوربا الذين يعيشون بعيداً عن منطقة بحر البلطيق أهمية جزر آلند التى يعد موقعها من الناحية الحربية كموقع جزيرة مالطة فى البحر الأبيض المتوسط

تتكون هذه الجزر التى قضت عصبة الأمم سنة ١٩٢١ بأن تظل محرومة من التحصينات ، من ستمائة جزيرة صغيرة ، مائتين منها يعمرها السكان الذين يبلغ عددهم ٢٨٫٠٠٠ نفس كلهم من الصيادين

وتقع هذه الجزر على بعد ٥٠ ميلاً من الشاطئ الفنلندى ، و٢٥ ميلاً من السويد و ٣٥٠ ميلاً من لننجراد و ٧٠٠ ميل من موسكو و٣٥٠ ميل من دانزج و ٣٠٠ ميل من ممل و ٤٠٠ ميل من كوبنهاجن . وعاصمتها « ماريهامن » وهى مدينة صغيرة للصيد ، ينتشر على أرضها بعض المساكن الخشبية ، وتفوح منها رائحة الأسماك الشديدة

ونظراً لاستقالة عضوين من أعضاء عصبة الأمم « ألمانيا وإيطاليا » التى عرضت عليها مشكلة جزائر آلند أصبح من المستحيل على فنلندا أن تحصن هذه الجزر . إلا أن الاتفاق الألمانى السوفييتى قد أتاح لفنلندا فى الأيام الأخيرة أن تنال موافقة باقى الأعضاء « بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، واستونيا ،

والدنمارك » على تحصينها ، فقامت حامية صغيرة لحماية ماربهامن وأعد أسطول خاص لحماية الجزر . ومما لا شك فيه أن وجود قوة من البحرية والطيران فى جزائر آلند يجعل من السهل على أية أمة أن تسيطر على شمال غربى أوربا . فمن هذه الجزائر تصد أى غارة للسوفييت ودول البلطيق ، ويسهل تهديد الدنمارك والنرويج وشرق بروسيا

وفضلاً عن هذا فإن جزائر آلند محصنة بحجب كثيفة من الضباب الذى يلفها طول العام فيصعب معه مهاجمتها ، فإذا استولت أمة على هذه الجزر أصبح لها السيادة على شبه جزيرة (اسكانديناڤيا) وأقاليم بحر البلطيق . ومن اليسير أن تصبح الزاوية المؤلفة من روسيا الغربية واسكانديناڤيا وشمال ألمانيا تحت سيطرة هذه الجزر القائمة وسطها ، فتحل الدمار بتجارتها فى بضعة أيام

ومن هنا يسهل علينا أن نقدر القيمة التى لجزائر آلند فى نظر السوفييت . ونعرف أن كل محاولات روسيا للاستيلاء على موانئ حرة على دول البلطيق وليتوانيا واستونيا لا قيمة لها بغير هذه الجزر

هل ينبغى لنا أن نكره الرذيلة

[ملخصة عن « ذى إيربان بك » بومباى]

كانت دهشتى عظيمة لحملة النقد الشديد التى ثارت منذ بضع سنين ، حول تصريح سير أوليفر لدج الذى قال فيه (إن الرجل الممتاز لا يهتم كثيراً بآثامه ، فى هذه الأيام) .

فقد أثار هذا القول غضب رجال الكنائس على اختلاف مذاهبهم ، وجعل الوعاظ يبذلون غاية جهدهم لتفنيده ، وإقناع الناس بأن أول واجب على المسيحى هو أن يكره الرذيلة . وهذا مذهب طالما رددته الأوساط الدينية فى السنين الغابرة ، وهو راجع إلى ضعف طبعى فى الإنسان . فقد كان الرجل المتدين يعتقد أن كراهية الرذيلة أسهل كثيراً عليه من حب الفضيلة . ولهذا المبدأ وجوه تختلف باختلاف الطوائف ، وكان بعض رجال الدين يعتقدون أنهم لا يستطيعون أن يعيشوا فى مأمن من الرذيلة التى يكرهونها كل الكره ، ويشفقون من الوقوع فيها ، إلا بالعزلة والانفصال التام عن العالم

والطبقة التى يعنيها سير أوليفر لودج بعبارته السابقة لها آراء خاصة فى كراهة الرذيلة ، فيقول بعضهم : إن الوصية التى تقول أحب جارك كما تحب نفسك . وهى إحدى الوصايا العشر المقدسة لا يمكن التوفيق بينها وبين كراهية الرذيلة . بل إن كره الرذيلة يجعل هذه الوصية فى حكم المستحيلات . إذ أن الشعور بالعمل السيء يسوقنا إلى كراهية فاعله الذى قد يكون جاراً لنا . وهنا لا يمكن التوفيق بين الحب والكراهية .

إن كراهة الرذيلة والخوف منها يساعدان على بقائها . فنحن إذ نجعل من الرذيلة قوة فعالة فى حياتنا تعمل على إحياء ما نريد أن نقتله ونقضى عليه ، فإنما نخلق « لأهريمن » إله الشر تمثالاً خالداً ، وإن كنا نصنع هذا التمثال لنبصق عليه . إن النظر إلى الرذيلة أمر فعال فى حياتنا ، يجعل لشخصية الشيطان شأناً أى شأن فى حياتنا اليومية .

كيف ننام نوماً هادئاً

[ملخصة عن « ذى سيكولجست »]

الرجال بطبيعتهم أهدأ نوماً من النساء ، فأعمالهم الكثيرة تساعدهم على النوم العميق ، والرجل الذى ينهمك فى الأعمال البدنية أياماً متوالية ، ينام فى العادة نوماً عميقاً ، لما يبذله من الجهد الذى ينهك قواه ، فى حين لا يظفر بمثل ذلك الرجل الذى يلازم مكتبه طيلة النهار ولا تسمح له أعماله بالحركة والنشاط

إلا أن المشاغل الفكرية التى تلازمنا فى بعض الأحيان كثيراً ما تحرمنا لذة الـ[illegible] . فإذا لم نتخذ وسيلة لإرقاد همومنا ونحن فى وقت اليقظة ، فسوف لا تبارحنا حتى تحرمنا الهدوء والراحة عند النوم . فمن الواجب إذن أن نعمل على ترويح النفس وإخلائها من مشاغلها إذا انتهى اليوم وذهبنا نلتمس الرقاد

فإذا أمسى المساء وجب علينا أن نخلد إلى الراحة ، ونأخذ فى تصفية حساب اليوم فنعرض على الذهن حوادث اليوم من الصباح إلى المساء : هل كان يومنا يوماً مرضياً ؟ إذا لم يكن كذلك ، فما السبب ؟ ما هو الخطأ الذى جعله كذلك ؟ ماذا كان علينا أن نفعل لنوجهه نحو الصواب ؟ فإذا آنست من نفسك ضعفاً ولو بسيطاً فيما تقوم به من الأعمال ، وجب عليك أن تبحث عن الطريقة التى تساعدك على إزالة هذا الضعف ، وتجعل كل همك أن تعرف متى يمكنك أن تقوم بأعمالك على الوجه الصحيح

أما من الناحية الجسدية فيجب أن تعرف مقدار ما أديته

لجسمك من الحقوق . هل كانت أعمالك الفكرية من الكثرة بحيث لا تترك الفرصة الكافية للجسد ليأخذ حقه من النشاط ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فلا بد من الموازنة بين حاجات الفكر والبدن ، إذا أردت أن تنام نوماً صحيحاً هادئاً

إن متاعب الليل ، هي أثر من متاعب النهار . فمن الواجب أن تتفحص حالتك العامة : هل هي متجهة إلى طريق الصواب من سائر الوجوه ؟ هل يقوم جسمك وعقلك وعواطفك بما هو مطلوب منها ؟ إذا لم يكن ذلك فإن هذا النقص الذي تراه في الواقع سيكون له أثره في أحلامك عند الرقاد

من الواجب إذن أن تراقب نفسك مراقبة دقيقة إذا كنت لا تنام نوماً مريحاً ، وتصرف عنك ما يشغلك في النهار لتستريح في المساء .

ماذا يربح كبار المؤلفين ؟

[من « استرليان دبجست »]

ماذا يربح كبار المؤلفين ؟ هذا سؤال لا نستطيع أن نجيب عنه على وجه التخصيص . ولكننا نستطيع بمراجعة الأرقام التي تنشر من آن لآخر ، أن نعرف الشيء الكثير، فمن المعروف مثلاً أن سير جيمس باري خلف بعد موته ١٧٤ر٠٠٠ من الجنيهات الإنجليزية ، ويعد هذا المبلغ الكبير من أكثر ما عرف في مخلفات الكتاب الإنكليز . وإذا علمنا أن « باري » أسس مستشفى عظيما في فرنسا إبان الحرب العظمى ، وأنه كان ينفق أموالاً طائلة في وجوه الإحسان ، أمكننا أن نقدر الأرباح العظيمة التي كان يكسبها من أدبه الغزير . وترك الشاعر الإنجليزي المعروف ريارد كبلنج ١٥٥٠٠٠ من الجنيهات

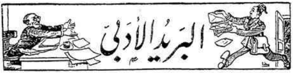
ويقال إن شارلس دكنز العظيم ترك بعد موته ٩٣ر٠٠٠ من الجنيهات ، وجورج مور ٧٥ر٠٠٠ جنيه ، أما توماس هاردي فقد خلف ٩١ر٠٠٠ جنيه ، على وجه التحقيق

فإذا اتجهنا إلى كل مؤلف وما أفاء على صاحبه من الأرباح، فنستطيع أن نقول إنه دفع « لهارفي ألن » ، في حقوق طبع مؤلفه « كارثة أنطوان » في الأربعة الأعوام الأولى من صدوره ٤٠ر٠٠٠ من الجنيهات لكل عام ، ويعد هذا المبلغ من أكبر ما ربحه مؤلف من كتاب واحد ، وربح « باري » من قصة « الوزير الصغير » ٥٠ر٠٠٠ جنيه ، وأعطى لماري كورللي ٢٠ر٠٠٠ من الجنيهات في إحدى قصصها المعروفة ، ودفع إلى « إليس مجان رايس » ٢٠ر٠٠٠ من الجنيهات في قصة مؤلفة من ٢٠ر٠٠٠ كلمة بمعدل جنيه للكلمة الواحدة . وألف ريارد كبلنج ثماني أقاصيص ، فدفع إليه في كل منها ٢٤٠ جنيه للطبعة الإنجليزية ، وعلى هذه النسبة نستطيع أن نقدر لهذه القصص ٨ر٠٠٠ من الجنيهات للطبع في أنحاء العالم التي يقرأ فيها هذا المؤلف المشهور، ودفع إلى كبلنج ٥٠٠٠ من الجنيهات في حقوق طبع « كم » في انجلترا وأميركا ، ودفعت إليه مجلة « كولير » الأسبوعية مبلغ ٢٠٠ جنيه في قصيدة واحدة

أما بين المؤلفين الأحياء ، فقد قدر ربح «سومرست مرجام» ١ر٠٠٠ جنيه في قصة من نوع القصص الصغيرة وبلغت أرباح (ماك نيل) في مؤلفاته الموسومة باسم (بول دج دموند) ١٠٠ر٠٠٠ من الجنيهات في سبعة عشر عاماً . وبلغت أرباح « بيفرلي نيكولس » ٢٥ر٠٠٠ من الجنيهات في بضعة مؤلفات عن كوخه وحديقته في هانتنجدن

وبلغت أرباح لورد مورلي من كتاب « حياة جلادستون » ١٠ر٠٠٠ ، وربح ونستون تشرشل ٨٠٠٠ جنيه في كتاب عن حياة أبيه . وقد بلغت أرباح كل من « درويك ديبنج » و « أ . أ . ميلن » في العام ٣٠ر٠٠٠ من الجنيهات

وقد فتحت « هوليود » باباً جديداً للربح لكبار المؤلفين وتتراوح المبالغ التي تدفع لحقوق إخراج مؤلف من المؤلفات للسينما من ١٥٠٠ جنيه إلى ١٥ر٠٠٠ جنيه ، وقد تزيد على ذلك في بعض الأحيان . فقد دفع مثلاً في « وودسورث » ٣٢ر٠٠٠ جنيه . وفي قصة « منظر في شارع » ٢٥ر٠٠٠ من الجنيهات



مناقلة ومثاقفة

هذان لفظان أستخرجهما من لغتنا الزاخرة بالمفردات والتعبيرات لأدلّ بهما على ما يقال له « المناظرة »

والمناقلة في المنطق أن تحدثه ويحدثك ، كما جاء في «القاموس» مادة ن ق ل ؛ وتجد اللفظة أيضاً في « المخصص » ج٢ ص١٢٩ . وقد استعمل الجاحظ هذا الحرف في رسالته الظريفة « التربيع والتدوير » (مجموعة رسائل ، مصر ١٣٢٤ ص ١٠٧) إذ قال : « ولو ظهر لي لما سألته كسؤالي إياك ، ولما ناقلته الكلام كمناقلتي لك » . وأما المثاقفة فقد استعملها التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » ص٩ حيث قال: «فلعل هذه المثاقفة تبق وتُروى»؛ وشرحها ناشرا الكتاب هكذا : « المثاقفة : المطارحة في العلم والأدب ومذاكرتهما » . والمثاقفة حرف حقيق بالحفاوة لهذا العهد ، أفلا نستعمل كلمة الثقافة لذلك الجمع من ألوان الأدب وصنوف العلوم وضروب الفنون ؟

وأما الذي يحدوني إلى عرض ذينك اللفظين بدلاً من « المناظرة » فانزلاق هذه ، على أقلام المتعالمين وصغار الكتبة ، إلى المهاترة : تأخذهم بالحجة أخذ عزيز متمكن، فتدور رؤوسهم وتُزلزل أقلامهم ، فيفزعون من الجدل إلى الثلب . فإذا الذي يكتبونه يذكّرك بقول ابن شبرمة : « ذهب العلم إلا غبارات في أوعية سوء» . غير أننا صرنا ـ ولله الحمد ـ إلى عهد لا تفصل فيه سلاطة اللسان ساعةَ إفلات البرهان

وإني ليحلو لي أن أثاقف أشراف الرجال وأناقل أثبات العلماء وأكابر الأدباء . وقديماً ثاقفت المازني في «السياسة والأدب» ، وناقلت بعد ذلك الأب الكرملي والشيخ البشري ، ثم التركيين : مبارك وطلبات . واليوم أناقل « أستاذاً جليلاً » عالماً ثقة . ومما يورث الأسف أني لا أقوى على بث اسمه ، وهو اسم عريض الجاه وضّاح الحسب. لا أقوى على بثه لأن صاحبه يريد أن يكتمه من الناس تواضعاً؛ فتارة يوقع مقاله هكذا : «ن»، وأخرى هكذا : « القارئ » أو « أزهري (طنطا) » . على أن قراء (الرسالة) يعرفون مَن وراء تلك الرموز

علّق «أزهري (طنطا)» في العدد الماضي من «الرسالة» على مقال كنت نشرته في « الثقافة » (العدد الـ ٥٦) جاء فيه أن أصحاب المعجمات ربما أثبتوا لفظاً في غير مظنّته. فأضاف العالم المتواضع إلى الأمثال التي كنت أوردتها مثلاً آخر هو كلمة « تكتّم » ، ثم ختم مقالته بأمنية تشغل صدور العرب والمشتغلين بالعربية

وأني متبع تلك الأمثال بمثل جديد ، وإليك قصته : كنت استعملت في توطئة « مفرق الطريق » هذه الكلمة : « متمثّلات » . فجاءني صديق بصير بمفردات اللغة وأنكر عليّ الكلمة فقال : إنها لم ترد في المعجمات ، وإنما التمثُّل ـ كما جاء في القاموس ولسان العرب ـ هو اتخاذ الحديث أو الحجة مثلاً ، ثم إنشاد البيت ، ثم الاقتصاص . وزاد الصديق أن الصواب هو « الامتثال » ، من قولهم : « مثّله له تمثيلاً : صوّره له حتى كأنه ينظر إليه ، وامتثله هو : تصوّره » . فقلت للصديق : ولكني أكره « امتثال الشيء » في هذا الموضع ، لأن الامتثال غلب عليه معنى الإذعان و « اتباع الطريقة » ؛ ثم هذا نص بين يديّ في جانبي : قال الخوارزمي في « مفاتيح العلوم » (مصر ١٣٢٤ ص ٩٢) : « يُقال تصورتَ الشيء إذا تعمدتَ تصويره في نفسك ، وتمثلته وتخيلته » فقال الصديق ـ وهو من المتشددين ـ وهل يستشهد بالخوارزمي ؟ فقلت : لك رأيك ولي رأي

واليوم أخبر هذا الصديق أني عثرت ـ من باب الاتفاق ـ على « تمثل الشيء » في مادة و هـ م من « لسان العرب » : « توهم الشيء : تخيّله وتمثّله كان في الوجود أو لم يكن » . ولم أجد هذا في «القاموس» ، غير أنك تجد عبارة «اللسان» في مستدرك « تاج العروس » مادة و هـ م

ترجيع

وأما قصة « الزلزلة » فلفدفرٌ الكاتب ، في عدد الرسالة الماضي ، من ميدان المناقلة والمثاقفة إلى ميدان التطاول باللفظ وحدَه . فقد كنت بصّرت الكاتب ، في مقالي السابق ، وبين يديّ الشواهد النواهض ، بأمور ثلاثة : الأول أن بحر « المنطلق » ليس من مجزوء « المتدارك » كما وهم أول الأمر، متبعاً وهم غيره ؛ فلم ينطق ههنا بكلمة واحدة . والأمر الثاني أن الزلزلة في اللغة ليست بمقصورة على زلزلة الأرض كما وهم أيضاً ، إذ هي تفيد الاضطراب والتحرك أول ما تفيد ؛ فلم يقوَ على العناد

لأن أحداً من الناس لا يستطيع ردّ القرآن . والأمر الثالث أن الزلزلة والطرب على مجاورة في لغتنا ؛ فلم يقدر على المكابرة لأن أسلوب صاحب « الأغاني » وغيره من البلغاء فوقها ، بل جلب إليّ شاهداً آخر يعزّز قولي (المغنية التي « زلزلت قلوباً »)

وعلى هذا فقد سلّم الكاتب ، مرغماً ، بأني بصرته بما كان يجهل ، في ثلاثة مواطن . غير أني أريد أن أنصف القارئ : فقد تشبث الكاتب — بعد تسليمه ذلك — بدليل فريد ، لعلّه أن ينفي به زلزلة الأذن ، أي اضطرابها وتحركها ، (ومن يتلمس الخطأ لغيره لا بد له أن يتشبث بشيء) . فقال غير متزلزل القلم : إن أذن الإنسان — من بين جميع الحيوان — لا تتحرك ألبتة . وهنا أعود إلى تبصير الكاتب بما تواضع الناس على تلقّنه وقبوله . فحسبه ما جاء في كتاب قررت وزارة المعارف المصرية استعماله بمدارسها ، وعنوانه : « خلاصة الطبيعة — الجزء الرابع : في الصوت » الطبعة الـ ١٤ ، مصر ١٩٣٠ ، ص١٢٥ : « شرح عمل الأذن : عند حدوث صوت بالقرب من الأذن تُنقل التموجات الهوائية داخل الأذن الخارجية وتؤثر في غشاء الطبلة فتهتز بحركة مماثلة لحركة مصدر الصوت ، لأن شكل ذلك الغشاء وقوة توتره يمكنانه من الاهتزاز بتأثير أي صوت خارجي » .

إن الكاتب يظن أن كل الأذن — وهي جهاز السمع — هو ما يراه إذا نظر إلى مرآته — ألا إنّ في هذا التبصير الجديد الكفاية . وهل تُبصَّر الخلق ببسائط لغتهم ثم بمبادئ العلوم إلا على جهة التسلي والتلهي ؟

تشبث الكاتب بهذا الدليل الفريد — وقد عرفتَ بطلانه — بعد أن سلّم بصحة قولي في الأمور الثلاثة التي كان نازعني فيها . على أن تسليمه بأني بصرته بما كان يجهل أوغر صدره ، فنثر حول قهره ما نثر من نفاية الكلام ؛ وذلك نتركه له ، فليتطوّق ! فكلٌّ يتزيّن بما تملك يده ، و « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »

بشر فارس

الدكتور عبد الوهاب عزام

قصدت «القاهرة» في هذا الأسبوع ، واشتريت نسخة من «رحلات» العلامة النابغة الدكتور عبد الوهاب عزام أستاذ جامعة فؤاد الأول . وقد رآني أحد خلصائي من أئمة الفضل من الشاميين أحرث(1) مرقومها مستهدياً مستفيداً . فقال لي : ما هذا الكتاب؟

قلت : « رحلات » عبد الوهاب عزام

فقال : اسمع يا شيخ ، أيقن أن (مصركم) هذه لم تفضل سائر الأقاليم العربية أنها أكثر منهن عدداً ، ومالاً ، وعلم أشياء وحضارة في أنحاء ، وشبه نظام . ولكنها فضلتهن ، وتاهت عليهن — وحق لها أن تتيه — بمثل عبد الوهاب عزام ...

سمعت هذا الكلام في « مصر وعزام » ، فكتبته حتى ينتشر في مجلة أخيه أحمد حسن الزيات

« طنطا » أزهري

فلم « يوم سعيد »

في اعتقادي أن هذا الفلم أبلغ أفلام عبد الوهاب صعوداً في مراقي الكمال . إنه في صميم الفن من حيث التأليف والإخراج والتلحين والتمثيل والحوار . ولعله الفلم الوحيد الذي لا يُخزي المصريّ أن يُعرض في غير مصر ، لجاذبية سياقه واطراد حوادثه وسلامة لغته وجمال مناظره وبراعة أدائه . ولقد كانت أفلام عبد الوهاب تعتمد في تعويض الفن فيها على حلاوة صوته وطرافة تلحينه . أما هذا الفلم فإذا جردته من قوة الغناء بقي قائماً على فنه . وقد دل على أن الأستاذ محمد كريم أول المخرجين ، وأن الأستاذ عبد الوهاب من أوائل الممثلين . وإذا قارنت بين هذا الفلم وبين ما تنتجه الشركات المصرية من الأفلام الملفقة التي تقوم على الشخصيات المهرجة والهجات الشاذة ازداد يقينك بأننا لا نزال ننجح أفراداً ونفشل جماعة !

الزيات

في المجمع اللغوي

تأجل اجتماع مجمع فؤاد الأول للغة العربية هذا العام لتعذر حضور الأعضاء الشرقيين والمستشرقين بسبب الحالة الدولية . وقد اقتصر المجمع على متابعة العمل في المعجمات واللجان المختلفة . وتتجه الفكرة الآن إلى تعديل تكوين المجمع تعديلاً يتيسر به الاجتماع بأعضاء مصريين ليتابع عمله طول العام

وينتظر أن يعرض التعديل الجديد على مجلس الوزراء تمهيداً لاستصدار المرسوم الملكي به . والمظنون أنه سيضاف إلى أعضاء المجمع المصريين نحو عشرة أعضاء ينتخبون من كبار المشتغلين بالبحوث العلمية . وستعلن أسماؤهم بعد صدور المرسوم الملكي تمهيداً لعقد دورة المجمع . وربما عقدت هذه الدورة في أواخر شهر مارس المقبل .

(1) في الأساس : وحرثت القرآن : أطلت دراسته وتدبره

العقيدة الأدبية

صديقي

إليك أقدم تحية الأخوة وإن لم أرك ، فقد تفضل أخونا الزيات وأطلعني على رسالتين كريمتين خططتهما يمناك ، ومن قبل ذلك قدم إليّ طوائف من الرسائل شهدت بأني موصول القلب بإخوان كرام أوفياء يرون الصداقة الروحية أعظم وأصدق من الصداقة التي تخلقها المنافع أو لطف الحديث

ولن يطول الحجاب بيني وبينك ، أيها الصديق ، فقد اتفقت مع الأستاذ الزيات على إعلان عواطف القراء من حين إلى حين ، فيرى قراء الرسالة أسماء كريمة لرفاق أعزاء تجمع بينهم الأخوة في الأدب ، كما تجمع أخوة الدين بين الأتقياء والصالحين

ولا أكتمك ، أيها الصديق ، أني أتندر على حسابك مع الأستاذ الزيات ، فعهدي بك تنص على أنك تحبه كما تحبني ، وهذا تلطف يستحق التشجيع ، لأن الزيات من أعز أصدقائي ، وهو أيضاً رسولك إليّ ، والمحب يتلطف مع الرسول !

أنا أعرف منزلتي عندك ، أيها الصديق ، والزيات يعرف أني عندك الحبيب الأول ، فلا بأس عليك إن تجاملته حين تعلن إعجابك بأسلوبه ، فقد يكون الزيات — أطال الله في حياته — آخر من يقبل التضحية بحظه من أجل الصديق

ثم ماذا ؟

أريد أن أغتنم الفرصة الذهبية التي جمعت بين قلبي وقلبك ، وإن لم أرك ، فأفضي إليك بحديث ينفعني وينفعك في الأيام المقبلات

فمن أنت في دنياك ؟

يظهر مما قرأت لك أنك تريد أن تكون كاتباً يسيطر على قراء اللغة العربية في المشرق والمغرب ، ويملك القدرة على تحويل الناس من ضلال إلى هدى أو من هدى إلى ضلال

وأنا حاضرٌ لإرشادك ، أيها الصديق ، فما يسرني أن أتفرد بمحنة الأدب والبيان، فهل تعرف جوهر النصح الذي أقدمه إليك ؟

إن أساتذتك علموك أشياء ترجع في جملتها إلى فهم علوم اللغة العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع وعروض ، وهي علوم نفيسة جداً ، ولكنها لم تصل بأصحابها إلى شيء ، فقد كنت لعهد التلمذة أكتب لأساتذتي ما يريدون توجيهه إلى الرؤساء والوزراء ، ولو شئتُ لقلتُ إني أديت امتحانات أمام أساتذة فضلاء لم تكن دروسهم إلا قبساً مما جاد به قلمي على أولئك الأساتذة الفضلاء . فما هو سر البيان الذي أريد أن أفضي به إليك ؟

هو العقيدة الأدبية ، هو العقيدة الأدبية ، هو العقيدة الأدبية ولن تكون كاتباً ولا شاعراً ولا خطيباً بدون تلك العقيدة وإن كنت أعرف الناس بالدقائق من علوم اللغة العربية !

فما هي تلك العقيدة ؟ هي روحك ، أيها الصديق ، ولا قيمة لأديب يعيش بدون روح !

الأدب في جوهره صورة من الروح الشفاف الذي ترتسم عليه صور الوجود ، فإن كان لك روح ، فأنت أديب ، وإلا فأنت نسخة ثانية من الشيخ فلان الذي لا يعرف من الأدب غير قواعد النحو والتصريف .

العقيدة الأدبية هي أن تغار على الأدب ، كما يغار رجال الدين على الدين . فأين أنت من تلك العقيدة ، أيها الصديق ؟

أنت تعرف أن في الدنيا ناساً عانوا أبشع ضروب الاضطهاد بسبب تمسكهم بعقائدهم الدينية ، ومذاهبهم السياسية ، فأين أنت من أولئك وهؤلاء ؟ وما الذي أعددت من ضروب التضحية في سبيل الأدب ، وهو غذاء قلبك وروحك ؟

إن الأديب الحق يحدثك عن نفسك بما تجهل من شؤون نفسك. فما جزاؤه عندك وهو يتكشف الخفايا من ضميرك وروحك؟

ما جزاؤه عندك وهو يشقى لتسعد ، ويموت لتعيش ؟

أنا أعرف جزاء الأديب عندك، أيها الصديق، فأنت خصصتني بكلمات طيبات أرهفت حسي وذكت بياني ، وسأذكرها بالخير ما حييت . ولكن، ما الذي يمنع من أن تتقدم لمعاونتي على ما أحمل من أعباء ؟

أتقول : إن الزيات لا يستجيب لندائك في كل وقت ؟

إن كان ذلك ، فقدّم إليّ ما يهمك نشره لأحتال في عرضه على القراء بأسلوب يرضيهم ويرضيك ، إلى أن تعرف كيف تفرض رأيك وأسلوبك على أولئك القراء !

وتقول إنك بكيت ما طاب لك البكاء حين قرأت مقال أحد الكتاب عن « نعيمة الأسلوب » وأنا بكيتُ كما بكيتَ ، ولكن فاتك أن تعرف أن ذلك الكاتب لم يشجك ولم يشجني إلا لأنه تحدث عن قلبه بأسلوب صريح يجب أن أتحدث به عن قلبي أو تتحدث به عن قلبك ، وهنا تظهر قيمة العقيدة الأدبية ، إن كانت تهمك في كثير أو قليل

صديقي :

ما أحب أن أطيل القول في مخاطبتك ، فأنت تعرف عن نفسك أكثر مما أعرف ، وإنما يهمني أن تدرك جيداً أن قلبي

رسالة النقد

طب العقـــل والنفس

تأليف الدكتور محمد حسنى ولاية

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

الطبيب محمد حسنى ولاية من أطباء صحة بلدية الإسكندرية أديب شاب يشارف الثلاثين ، متخصص فى طب المناطق الحارة والصحة العامة . قضى مدة فى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية دارساً ، فاسترعى انتباهه أحوال المصابين بأمراض عقلية واضطرابات نفسية ، فكان له من ذلك حافز نفسى على دراسة الجنون دراسة علمية من جانبيها النظرى والعملى . وكان ثمرة هذه الدراسة كتابه « بين العقل والجنون » الذى أصدره لعامين مضيا . وهو اليوم قد أخرج للناس كتاباً جديداً عنوانه « طب العقل والنفس » وهو ثمرة دراسة نظرية للأمراض العقلية والاضطرابات النفسية ، اعتمد فيها على آراء علماء مدرسة التحليل النفسى ، وبالأخص فرويد وأرلد ويونج . ويكاد يكون الكتاب فى المجموع تلخيصاً لآراء هؤلاء ، أو ترجمة لبعض الفصول التى عقدوها عن الجنون والاضطرابات النفسية ومسائل العقل والوجدان والنفس . فمن هنا للكتاب أساس وثيق بآراء زعماء مدرسة التحليل النفسى . وهو يقف عند حدود آرائهم فلا يتجاوزها فى شىء إلى آراء المدرسة السلكية ، أو النموذجية الألمانية ، أو الميكانيكية الروسية فى هذه الشؤون .

واعتماد المؤلف فى دراسته للموضوع على بضعة مراجع محدودة لزعماء مدرسة التحليل النفسى أبعدت بينه وبين تكوين فكرة واضحة بينة الخطوط ظاهرة المعالم عن الموضوع ، فكان من ذلك الاضطراب فى تناول بعض الموضوعات (لا كلها) . كما هو ملحوظ فى فصل « الحب المتجانس عند المرأة » وفصل « اللاوعى » . وهـذا الاضطراب قد يبدو أكثر وضوحاً إذا لاحظنا أن المؤلف مثلاً لم يعتمد بالنسبة لفرويد وهو رأس مدرسة التحليل النفسى ، إلا على مصدرين : أحدهما منتخبات من آثاره ، والآخر مذكرات ورسائل له . وهذا أبعد الكتاب عن الوحدة المطلوبة فى الكتب ، ومن هنا جاءت فصول الكتاب غير متجانسة ، فهذا فصل عن فرويد وآخر عن أرلد وبين هذا

ممك وأنه لم يُقد من الصخور والجلاميد حتى يجهل القيمة الذاتية
لعطفك عليه بلا مواربة ولا رياء

وسيأتى يوم يكون فيه للقلم دولة ، وفى ذلك اليوم وهو قريب
تعرف فضل روحك فى إذكاء المشاعر والعواطف والقلوب

فإن فاتك أن تكتب كما أكتب وكما يكتب الزيات فلن يفوتك
أن تكون من أهل القدرة على تأريث جذوة الأحاسيس

ومن أنا ؟ ومن الزيات ؟ ومن الكـتّاب المصطفوْن عندك ؟
نحن قوم كوتنا صروف الأيام والليالى ، فإن اكتوت يدك

كما اكتوت أيدينا فستملك من السيطرة على القراء أكثر مما نملك
وقد يلقاك الدهر بأفضل وأجمل مما يلقانا ، وهو عندنا غادر جحود

قد عِيب علينا ، يا صديقى ، أن نشكو الدهر ونحن فى سعة
من العيش ، وسيرتقى ذوقك فتـدرك أن الخواصّ لا يشكون

جوع البطون ، وإنما يشكون جوع القلوب
وآه ثم آه من جوع القلوب ! !

زكى مبارك

رأى الأستاذ النشاشيبى فى نهج البلاغة

سيدى الأستاذ صاحب « الرسالة الهادية »

الرجاء أن تتكرموا بنشر ما فى أضعافِ كتابَىْ علّامةَ العربية وأديبها العبقرى الأستاذ الجليل « محمد إسعاف النشاشيبى » : « الإسلام الصحيح ، وكلمة فى اللغة العربية » مما يخص « نهج البلاغة » . فإن الكتاب الأول ممنوع فى العراق (؟ !!) — كما يعلم الأستاذ الجليل بالطبع — والكتاب الثانى أندر من رائد الحقيقة فى هذا الزمان ...

وذلك رغبة وشوقاً — والرغبة هنا ملحة ، والشوق أكيد لما نعرف من فضل أستاذنا الجليل النشاشيبي وعلمه وخطره ، أطال الله بقاءه ونفعنا به — إلى أن نقرأ مقال أستاذ البلاغة فى (نهج البلاغة)

مشكور الأسدى

عضو جمعية الرابطة العلمية الأدبية فى النجف الأشرف

(الرسالة) : الكتابان منشوران مشهوران يباعان في مكاتب القاهرة ، ولم يقع فى علمنا أن حكومة العراق منعت كتاب « الاسلام الصحيح »

وذاك فصل ليونج ، وهي بعد ذلك تتناول موضوعاً واحداً ، وهذا لا يجعل إمكاناً لأن يخرج الإنسان بفكرة واضحة عن مواطن الاختلاف ومواضع الاتفاق بين هؤلاء الزعماء الثلاثة لمدرسة التحليل النفسي في المسألة الواحدة . ثم هنا لك بعض الاصطلاحات جانب المؤلف فيها المأثور من ذلك استعماله لفظة Sex وكأنها تنظر إلى جنس والصحيح أن اللفظ العربي الذي ينظر إليه المصطلح الإفرنجي هو « شق » كما رأى الدكتور محمد بك شرف وجاراه في ذلك المشتغلون بالمباحث العلمية في العالم العربي . ثم عندك استعمال البدوات ناظرة إلى Fantasies والصحيح - الأوهام - كما قلنا في دراستنا عن مطران وكذلك استعمال الغرض حيناً والموضوع أحياناً ناظرة إلى Objet والصحيح الوجه الثاني . ثم ترجمة moral بالعرفي والصحيح الأدبي و Ex trovert بالمنتشر والصحيح أن يقال المحتد كما رأى ذلك مظهر سعيد .

كذلك مما يؤخذ على اللغة الاصطلاحية للكتاب فإن المؤلف يقول نفساني ومعلوم أن النسبة تقاس من فعل على وزن فعلي فيقال عقلي من عقل وآدمي من آدم ونفسي من نفس . على أنك بعد ذلك تصيب بعض مصطلحات افرنجية أصاب المؤلف في العثور على المقابل العربي لها ، من ذلك استعماله المنضوي مقابلاً لـ in trovert وهو أدق من لفظة المنكمش التي استعملها مظهر سعيد

وفي الكتاب مطالعات جديرة بالنظر للمؤلف ، تجدها على وجه خاص في بحثه عن أسباب الأمراض العقلية ، وهي مطالعات لم يسبقه إلى بعضها أحد . كما تجد في الكتاب آراء ومطالعات تحتمل المناقشة ؛ خصوصاً فيما يذكره يونج عن الزواج التجريبي الذي دعا إليه القاضي Lindsy ، وفيما يقدره هو عن العلاقات « الجنسية » التي توجد بين الطلبة .

على أنه بعد ذلك على الرغم من هذه المآخذ ، فالكتاب جدير بالنظر والمطالعة فهو يحوي في تضاعيفه مطالعات قيمة عن الحياة النفسية والشعورية وعن الاضطرابات التي تستولي على النفس البشرية ، يستفيد منها الإنسان في حياته اليومية ، كما يستفيد منها الأديب والعالم في حياتهما الأدبية والعلميـة ، ومن هنا فالكتاب يشكر عليه صاحبه للمجهود المبذول فيه ، وهو خليق بعد بالتشجيع .

« الأسكندرية » اسماعيل أحمد أدهم

٢ - وحى الرســـالة

[من واجب « الرسالة » أن تنشر ما يتفضل به عليها الأدباء، الزملاء، والأصدقاء، من صادق النقد وجميل الرأى فى كتاب « وحى الرسالة » تسجيلا لفضل منهم ولشكر منا]

كتب صديقنا الدكتور بشر فارس فى جريدة المقطم :

هذا كتاب يريحنا مما يخرجه بعض الناشئين لهذا العهد ، وهم لا يفطنون إلى أن الكتابة صناعة . فى فصول هذا الكتاب تصيب المنحى الحسن ، والتنميق المطرد ، ثم اللفظ المتخير ، والسبك المحكم إلى جانب التبصر . وأسلوب الأستاذ الزيات الترسل فى بسط العبارة ، والترفق فى تدوين الفكرة . ويهدد هذا الأسلوب فى غالب الأمر سرد الألفاظ ، وتكلف الأداء . وقد نجا أسلوب هذا الكتاب من هذين الخطرين بفضل سليقة صاحبه السليمة وترسمه خطى البلغاء من كتاب العرب الجاعلين للديباجة المكان الأول . ومما ينشأ عن هذا الأسلوب الإطناب المقبول ، وإن قال الأستاذ فى فاتحة كتابه إن الإيجاز صفته ، إلا إذا عنى بالإطناب ساقط الكلام وفضول القول بتطويل وحشو لغير فائدة

وموضوعات الكتاب إن هى إلا معرض ألوان شتى من التأليف: إنشاء ونقد ووصف ونظر فى الحياة الجارية، فمن الإنشاء « لماذا ترجمت آلام فرتر » وفيه هفوة القلب ونبضة العرق؛ ومن النقد « مصطفى صادق الرافعى » و « أحمد زكى باشا » وفيهما تبرز خصائص الكاتبين فى اعتدال إذ تذكر مواضع الإكبار ومواطن الأخذ جنباً لجنب . ومن الوصف ما ينساب هنا وهنا من تصوير لطرق المدينة وحقول الريف وشواطئ البحر وضفاف النيل . ومن النظر فى الحياة الجارية تلك المقالات الرصينة مثل « داء الوظيفة » و « الفردية علتنا الأصلية » (وهنا أوثر كلمة التفرد Individualisme كما بينت فى «مباحث عربية») والزيات فى هذه المقالات لاذع القلم نافذ البصر : إنما بغيته التنبيه على جوانب الضعف الخاقى والتنديد بنواحى الفشل الاجتماعى، وكتابة الأستاذ هنا لا تنجذب إلى الأسلوب الفلسفى المجرد ولكنها كتابة مصلح يصف الداء المقيم ويبين آثاره وعقابيله

وفى تلك الموضوعات، على تنوعها، تطاوع اللغة الكاتب وتتأتى له ألفاظها وتعبيراتها المتواترة ، وذلك لأن الزيات يعرف كيف يستخرج الخبآت وينقب عن الدقائق . وهو إلى هذا التضلع من أساليب القدماء يكره التشدد والتنطع ، حتى أنك تراه يستعمل اللفظة الأعجمية على وجهها إذا تطلبها السياق . من ذلك لفظة « الإيديال » ص ٤٦ و « المثل الأعلى » و « التاكسى » ص ٤٦٨ و « الفتريات والنصالات » ص ٤٧٩ . وأكبر الظن أنه يرقب من مجمع اللغة العربية أن يعالج مثل هذه الألفاظ، وإلى لأخشى أن تطول رقابته

إن « وحى الرسالة » مجموعة مختارة مما سطره الأستاذ الزيات فى مجلة «الرسالة»، وهذه المجلة تستقبل سنتها الثامنة. و «الرسالة» فى صدارة المجلات العربية لهذا العهد . ومما تمتاز به أنها معترك الحركة الأدبية : من وجه تسجل مجرى الأدب ، ومن وجه تعرض المستحدث منه، فخطتها الركز والوثب معاً. ومن هنا ما فيها من التلون . وآفة المجلات أن يركد ماء وجهها. فمن وراء ذلك الشحوبُ فالزوال . ويعين على ذلك التلون أن أقلام كتاب الرسالة متغايرة فى التثقف والمضاء، وأن فيها أبواباً ساكنة وأخرى مائجة. وربما وضعت هذه الأشياء مواضعها فى بلد يكثر فيه الاضطراب وبصول الهوى

بشر فارس

***

وقالت زميلتنا الدستور :

الأستاذ أحمد حسن الزيات كاتب تسمو عبارته على النقد، وترتفع سياقه إلى مرتبة الإعجاز، وتتصل بلاغته بالقلوب لدقته ورصانة نسجه وسمة الصدق المتجلية فى عبارته . وقد أصدر حضرته مجلة «الرسالة» منذ سبع سنوات؛ وألف أن يصدرها كل أسبوع بمقالة من وحى خاطره وفيض بيانه ؛ حتى اجتمعت له باقة من هذه المقالات متخيرة الألفاظ متسامية الطراز ، تنبه ببراعة أسلوبها دولة الكتاب وترنو إلى إعجازها أعين الأدباء

وسنعود إلى عرض بيان الأستاذ الزيات فى صفحة الدستور الأدبية المقبلة

وقد أحسن الأستاذ الزيات إذ جمعها فى كتاب سماه « وحى الرسالة » ونشره فى مطلع العام الجديد مورداً عذباً للأدب والأدباء ومشرعاً سائغاً لطلاب اللذة والمتاع الروحى والفائدة فى كل باب...

***

وقالت زميلتنا البلاغ :

يطالع الكاتب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات قراءه المعديدن فى مجلته « الرسالة » بافتتاحياته الممتعة التى تعتبر مثالاً عالياً فى حسن الأسلوب وفى تخير الموضوع ودقة التعبير عن الفكرة ؛ وقد تابعوه سبع سنين ينتظرون بلهف ما تدبجه براعته سواء فى الأدب أو فى النقد أو فى السياسة أو فى الاجتماع أو فى تحليل الشخصيات ، فيكون على الدوام عند حسن عقيدتهم فيه ؛ براعة تفكير ، ومتانة أسلوب ، وسرعة نفاذ إلى القلوب

وقد تخير الأستاذ الزيات فصولاً مما كتبه للرسالة فى ست سنين وجمعها بين دفتى كتاب واحد سماه « وحى الرسالة » وأصدر المجلد الأول منها فى هذا الأسبوع فى طبع أنيق وورق مصقول ، فجاءت هذه الفصول كما قال فى مقدمتها : متسمة بالصدق وإن كتبت عفو الخاطر ومجاراة المناسبة

ولا شك أننا فى غنى عن أن نقدم « وحى الرسالة » إلى القراء فالأستاذ الزيات فى غنى عن كل تقريظ وإنما يقرظه أدبه وأسلوبه وسعة اطلاعه ؛ ويكفى أن نقول إن كل قارئ مثقف لا غنى له عن مطالعة هذه الفصول الممتعة مما كتبه الأستاذ الزيات

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }